

# السَّارُّ وَالطَّيِّبُ فِي ذِكْرِ أَبِي الطَّيِّبِ

بقلم

عبد الجواد سيّد ابراهيم

الناشر

شركة نوازل الفقهية



شركة نوابغ الفكر ، القاهرة

البريد الإلكتروني :

Nawabgh\_elfakr@hotmail.com

هاتف: 25936402

فاكس: 27865553

فهرست الهيئة المصرية العامة

لدار الكتب والوثائق القومية :

ابراهيم ، عبد الجواد سيد

النشدا الطيب فى ذكرى ابي الطيب

تأليف : عبد الجواد

ط-1 القاهرة : شركة نوابغ الفكر 2014

عدد الصفحات: 108

1-الشعراء العرب

2-ابو الطيب المتنبي ، احمد بن الحسين بن الحسن الكوفى الكندى ، 915-965

ا-العنوان

رقم الايداع: 2014/14699

- الترقيم الدولي: 8-21-6415-977-978



obeikandi.com

## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

أحمد الله الذى إليه يصعد الكلم الطيب، وأصلى وأسلم على مولانا وسيدنا محمد الذى حيب إليه الشذا الطيب، وعلى جمع رسله، نور الحق وصفوة الخلق، وبعد فهذه عجالة، أوجزت فيها القول، فى ذكرى أبى الطيب، كتبعاً عيون أخباره، وفنون أشعاره، وتوخيت فيها سهولة التعبير، لتكون قريبة التناول واصطفيت الأبيات التى سقتها للاستشهاد فى كل باب؛ لتعلق بذهن الطلاب؛ وذيلت صفحاتها بشرح ما يستغلق فهمه من المفردات؛ والأبيات توفيراً للوقت؛ وشفعتها بمصور يبين بيئة المتنبي ورحلاته.

وقد أخلصت العمل لوجه الله فى هذه العجالة؛ راجياً أن يعم نفعها، فتكون بغية الأديب؛ وغنية اللبيب؛ فإذا شجعتى جمهور المتأدين بأقباله عليها؛ حمدت الله أن وفقت؛ وأتبعتها بأخرى فى بحث أوسع؛ إذا أتيت لى الفرصة؛ وكان فى الأجل متسع؛ وإن كان غير ذلك؛ فما أردت إلا النفع والخير ما استطعت؛ وما توفيقى إلا بالله؛ عليه توكلت وإليه أنيب، ،

عبد الجواد سيد إبراهيم

obeikandi.com

## أبو الطيب المتنبي

٣٠٣ - ٣٥٤ هجرية / ٩١٥ - ٩٦٥ ميلادية

### تمهيد

أبو الطيب المتنبي، في الأدب العربي، صرح شامخ البنيان، ودوح مديد الظل، رائع العظمة، على كر العصور، ومر الدهور، اعتورته سهام الحسد والانتقاص فلم تؤثر في علاه، ولم تل من عظمته، فهو عظيم في الرجال، عظيم بين الشعراء، فإذا نحن بحثنا عن آثاره. ودرسنا محاسن أشعاره فإنما ندرس نفسية شاعر اجتماعي، شارك الناس في آمالهم وآلامهم، وصور علل أخلاقهم، كما وصف علاج أدوائهم كأنما يترجم ما في الضمائر، ويطلع على ما تكنه السرائر، إذا استطلعنا خبيثة نفسه وليداً وطفلاً، ويافعاً وكهلاً نراها في كل أطوارها سامية غلابة، طموحة إلى السيادة، تعاف أن يكون الأمراء من أقرانها، وتعد الملوك من نظرائها:

همتى همة الكرام ونفسي      نفس حر ترى المذلة كفرأ

فهو الشاعر الفذ، والمفرد العلم، رب السيف والقلم، نادرة الدهر، في صناعة الشعر، تسيطر على الحكمة والشعر، فزواج بينهما، وتآلف نافرهما، فظهر نور الأدب ناصعاً، ونور الحكمة مشرقاً، في أسلوب جديد ونظام فريد كأنه المعنى بقول البحترى:

في نظام من البلاغة ما شك      م امرؤ أنه نظام فريد  
ويديع كأنه الزهر الضا      م حك في رونق الربيع الجديد

## وصف عصره سياسيا

عاش المتنبى فى العصر الثانى (١) من عصرى الدولة العباسية وهو عصر انقسامها إلى دويلات صغيرة، حين وضع الترك والديلم أيديهم على شئون الدولة، وسيطروا على خلفائها، وانتقص الولاة أطرافها، فاستقل القرامطة بعمان (٢) والبحرين وآل بويه بفارس والأهواز، وآل سامان بخراسان، وآل حمدان بحلب والثغور، والأخشيدية بمصر.

تفرق هذا الملك الواسع، بعد أن كانت الرقعة الإسلامية متماسكة الأطراف، يجمع شتاتها حاضرة واحدة، هى بغداد فما أشبههم بملوك الطوائف بالأندلس، الذين نعى عليهم ابن أبى شرف ضخامة الألقاب، وضعف السلطان، فقال:

مما يزهدى فى أرض أندلس أسماء معتمد فيها ومعتضد  
ألقاب مملكة فى غير موضعها كالكهر يحكى انتفاخاً صورة الأسد

زد على ذلك تفرقهم شيعاً فى دينهم، حتى أصبحت بغداد مسرحاً للمنازعات السياسية والدينية، إذ ظهر بها أمر الخنابلة، وقويت شكتهم، وناصروا أتباع الشافعى العداء، وأغروا بهم العميان والسفهاء، وكانوا يغشون المنازل، فإذا وجدوا نبيداً أراقوه، أو مغنية آذوها، إلا آل أمرها إلى الدمار، ومما زاد الخطب تفاقم (٣)، ظهور (٤) أمر القرامطة فى عصر المقتدر فى سواد

(١) العصر الثانى من ٣٤٧ - ٦٥٦ أى من عهد المتوكل إلى أن استولى التار على بغداد.

(٢) بلد باليمن وعمان بالفتح والتشديد بلد بالشام.

(٣) عظما.

(٤) هم قوم ظهر أمرهم فى أيام المعتضد فى سواد الكوفة وبالبحرين والشام وأشعلوا بهذه البلاد نار الفتنة التى آذت المسلمين وسلبتهم أمن الطريق إلى بيت الله الحرام.

الكوفة، فعاثوا فى الأرض فساداً، وقاموا بغزوات متتابعة، فملكوا البحرين، وغزوا البصرة وقطعوا طريق الحجيج أعواماً، وغزوا الكوفة، وكان المنتبى إذ ذاك فى نحو الثانية عشرة من عمره، فاستولوا عليها، وأسروا قائد الخليفة المقتدر، وشتتوا جيشه، ولم تمض سبتان على ذلك حتى أغاروا على مكة، ونقلوا منها الحجر الأسود إلى هجر وألقوا جثث القتلى فى بئر زمزم، وما زالت الفوضى تعم؛ حتى ساءت الحال، فى جميع نواحي الحياة الاقتصادية، من زراعة؛ وصناعة؛ وتجارة؛ وانغمس الناس فى حمأة<sup>(١)</sup> الرذائل؛ لا وازع لهم من دين أو سلطان؛ ولبثوا على تلك الحال؛ حتى استولى التتار على بغداد؛ وأزالوا دولة كانت عظيمة الأثر والسلطان.

أعطيت ملكاً فلم تحسن سياسته كذاك من لا يسوس الملك يخلعه

### أثر الحالة السياسية فى شعره

عاش المنتبى منذ غضاضة أهابه؛ إلى أن خلق<sup>(٢)</sup> برد شبابه؛ يختلف إلى مدن الشام وفلسطين؛ من طبرية إلى اللاذقية؛ ومن أنطاكية إلى حلب؛ وإلى مدن العراق؛ من بغداد إلى الكوفة؛ وهو فى كل صقع يرى نار الفتنة مستعرة وعوامل الانقسام قائمة؛ على سفار السيوف؛ وأسنة الرماح؛ فملك تلك المشاهد عليه حواسه؛ وأخذت بلبه؛ وحركت فى نفسه الميل إلى الخروج على السلطان؛ والاستظهار عليه بالشجعان، ولم يكن ينقصه الإقدام؛ وقد كان أكبر مظاهره؛ ولا محبة العظمة؛ وقد جبل عليها؛ ولذا ظهر فى شعره؛ ما كان يدور بخلده؛ فأجاد فى وصف المعارك وآلات القتال؛ ومدح الشجاعة

(١) الطين الأسود المنتن.

(٢) خلق مثلثة العين بلى.

والشجعان؛ ومنى نفسه بحرب شعواء؛ يثير عجاجها؛ ويحمل لواءها؛  
ويكون قائد أبطالها؛ فمن وصف المعارك قوله:

وكم رجال بلا أرض لكثرتهم      تركت جمعهم أرضا بلا رجل  
ما زال طرفك<sup>(١)</sup> يجرى في دمائهم      حتى مشى بك مشى الشارب الثمل<sup>(٢)</sup>  
وقوله:

والطعن شزر<sup>(٣)</sup> والأرض واجفة<sup>(٤)</sup>      كأنما في فؤادها وهل<sup>(٥)</sup>  
قد صبغت خدها الدماء كما      يصبغ خد الخريذة<sup>(٦)</sup> الخجل  
وهذا مما استعمل فيه وصف النساء في صفة الحرب وسيأتي لذلك  
نظائر.

وقوله في الشجعان:

شجاع كان الحرب عاشقة له      إذا زارها فدته بالخيل<sup>(٧)</sup> والرجل  
وقوله محدثًا عن نفسه:

لقد تصبرت حتى لات مصطبر      فالآن أقحم<sup>(٨)</sup> حتى لات مقنحم  
لأتركن وجوه الخيل ساهمة<sup>(٩)</sup>      والحرب أقوم من ساق على قدم  
بكل منصلت<sup>(١٠)</sup> ما زال منتطرى      حتى أدلت<sup>(١١)</sup> له من دولة الخدم

(١) الكريم من الخيل. (٢) السكران. (٣) الطعن الشزر الذى يقصد به الانتقام.

(٤) مضطربة. (٥) وهل كفرح: ضعف.

(٦) الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المستترة.

(٧) أى بالفرسان والمشاة. (٨) قحم فى الأمر رمى بنفسه بلا روية. (٩) ضامرة.

(١٠) السيف الصقيل الماضى أو الرجل الماضى فى الحوائج.

(١١) انتصرت يقال أدالنا الله من عدونا أى نصرنا عليه.

وقوله :

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ      كأنهمو من طول ما التثموا<sup>(١)</sup> مرد<sup>(٢)</sup>  
تقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا      كثير إذا شدوا<sup>(٣)</sup> قليل إذا عدوا

وقوله

وإن عمرت جعلت الحرب والدة      والسمهرى<sup>(٤)</sup> أخا والمشرقى<sup>(٥)</sup> أباً  
بكل أشعث<sup>(٦)</sup> يلقي الموت مبتسما      كان له فى موته أرباً  
فالموت أعذر لى والصبر أجمل بى      والبر أسوع والدينيا لمن غلبا

### الحياة الأدبية فى عصره

إن انقسام الدولة العباسية فى عصرها الثانى إلى دويلات صغيرة كان من نتائجه تنافس ملوكها فى توطيد ثروتها العامة؛ ونهضتها العلمية! فنمت الحركة الفكرية؛ وسرت فى سبيل الرقى التى رسمها لها خلفاء العصر الأول؛ فجنوا ثمار ما غرسه سلفهم من العلوم الموضوعة والمترجمة؛ وصححوا أغلاطها؛ ورتبوا أبواب مسائلها؛ فكان عصر الثقافة العلمية العامة بفضل تأثير الفلسفة والمنطق فى عقول الباحثين؛ وفى هذا العصر استقصى العلماء مسائل النحو والصرف؛ ودونوا علوم البلاغة؛ وهذبوا مباحثها؛ وظهر النابغون من العلماء والفلاسفة والشعراء؛ أمثال ابن جنى والجرجانى من علماء اللغة

(١) التثم شد اللثام وهو نقاب يوضع على القم واللغام ما يشد على طرف الأنف.

(٢) جمع أمرد الشاب طر شاربه ولم تنبت لحيته.

(٣) أى حملوا على الأعداء. (٤) الرمح الصلب.

(٥) السيف منسوب إلى مشارف الشام وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف.

(٦) المغبر الرأس المتلبد الشعر.

والأدب؛ والفارابي وابن سينا من الفلاسفة؛ والمتنبي والمعري والشريف الرضى وغيرهم من الشعراء؛ وكما حفظ لنا التاريخ صورة من هذه النهضة العلمية المباركة: أثبت إلى جانبها صورة نكدة<sup>(١)</sup>: من صور الجماعات الإسلامية المتنافرة: يبغى بعضهم على بعض. ويكيد قلوبهم لضعيفهم؛ لا رابطة بين حاكمهم ومحكومهم؛ حكام مستبدون؛ ورعية يؤمرون؛ فيطيعون رهبة لا رغبة؛ وخلفاء يولون ويعزلون: دون أن يكون للأمة رأى فى توليتهم أو عزلهم: دماء تهدر من غير جناية: وأموال تستباح فى غير معصية: وأعراض تنتهك فى غير حياء؛ أمة دب فى أخلاقها الفساد ودين فشا فيه الإلحاد وعصر كثير فيه أصحاب الملل والنحل؛ هذه صورة مجملة لأخلاقهم العامة التى كان أثرها بيئاً فى شعر الشعراء فى هذا العصر.

فجأهروا بدم ملوكهم، وأهل زمانهم، وحملوا فى قلوبهم الحقد على الناس؛ واستحكمت فى نفوسهم العداوة لهم، وظهر ذلك جلياً فى شعر أبى الطيب المتنبي، وأبى العلاء المعري، وغيرهما من الشعراء.

### أثر الحياة الأدبية فى شعره

علمنا مما سبق أن المتنبي ظهر فى عصر ملئت فيه الدنيا بترجمة علوم اليونان وفلسفتهم وحكمتهم، فكان جديراً به أن يتناول تلك الناحية من التفكير فى شعره، لا سيما وقد سبقه إليها أبو العتاهية، وأبو تمام، غير أنه بذهما وجرى فى ذلك الميدان، لا يشق له غبار، ولا يماريه ممار، إلى أن جاء بعده أبو العلاء ففاقه فى ذلك وإن كان من غرس يديه، وممن عول فى أدبه عليه، فمن أبياته الحكيمة:

(١) مشثومة عسرة.

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم      إلا على شجب<sup>(١)</sup> والخلف في الشجب  
فقليل تخلص نفس المرء سالمة      وقيل تشرك جسم المرء في العطب  
وقوله:

أبدأ تسترد ما تهب الدن      يا فيا ليت جودها كان بخلا  
وستمر بك طائفة صالحة من أبياته في الحكم.

أما سوء الأخلاق، وفساد الزمان في عصره فقد أثار حقهده على الناس،  
واستصغاره شأنهم، وجعله من المتشائمين الذين يسيئون الظن بكل ما في  
الوجود، فأخذ يذم الزمان وأهله، ويحقد على الدنيا وينكر المودة، فمن قوله  
يذم الزمان:

ومما الدهر أن يؤمل عنده      حياة وأن يشتاق فيه إلى النسل  
وقوله يذم أهل زمانه:

أذم إلى هذا الزمان أهيله      فاعلمهم قدم<sup>(٢)</sup> واحزمهم وغد<sup>(٣)</sup>  
وقوله ينكر المودة:

ولما صار ود الناس خبا<sup>(٤)</sup>      جزيت على ابتسام بابتسام  
وصرت أشك فيمن أصطفيه      لعلمي إنه بعض الأنام  
وقوله في ذم الدنيا:

لحا<sup>(٥)</sup> الله ذي الدنيا مناخا لراكب      فكل بعيد الهم فيها معذب

وسنوفى ذلك حقه عند الكلام على فلسفته.

(١) الحزن والهم والشغل. (٢) عبي ثقيل.

(٣) الرجل الدنيء يخدم بطعامه بطنه. (٤) الخداع. (٥) قبح ولعن.

## حياته وبيئته وأثرهما فى شعره

اسمه ولقبه: هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفى

الكندى الكوفى .

مولده: ولد المتنبى فى محلة كندة<sup>(١)</sup> بالكوفة سنة ٩١٥م، ٣٠٣هـ

ويعرف أبوه بعبدان السقاء كان عمله سقاية الماء فى تلك المحلة .

نشأته: لما ترعرع أبو الطيب، ظهر نبيهاً محباً للعلم أولع من صغره بتعلم اللغة العربية، وكان يكثر الاختلاف إلى مجالس العلماء فى زمانه فى الأدب واللغة، كابن السراج والأخفش، وأبى على الفارسى وكان قوى الحافظة لازم مكاتب الوراقين، وقرأ ما وقع له من كتبهم، وحفظ الكثير من غريب اللغة وحوشيتها، وأخبار العرب وأشعار الجاهليين وغيرهم، وقال الشعر على حداثة سنه وبرع فيه .

وهنا نقف هنيهة، نسائل أنفسنا على من تقع تبعة التقصير، فى تدوين أحوال النابغين، ومعيشتهم وأخلاقهم فإننا لا نعرف كيف كانت حياة أبى الطيب الأولى، وممن كان يقتبس أخلاقه، ولا كيف نمت عنده ملكة الشعر، وإذا ساع لنا أن نستنبط شيئاً من ذلك، فرائدنا فيه الظن الذى لا يغنى من الحق شيئاً، وخلاصة ما وصل إليه البحث والاستقراء، إن أبا الطيب بعد أن شب وترعرع، صحب الأعراب فى بادية الكوفة - ثم عاد إليها بعد سنين بدويًا. قحًا، وكان قد تعلم الكتابة والقراءة، وحفظ الكثير من شعر ابن الرومى، فكان لذلك أثره فى تكوين ملكته الشعرية، ومن شعره الذى قاله فى حداثة سنه قوله:

(١) وليس بكندى القبيلة بل هو جعفى نسبة إلى جعفى بطن من سعد العشيرة من

القحطانيين .

لا بقومى شرفت بل شرفوا بى وبنفسى فخرت لا بجودى

وقوله، وقد أحس أن قوماً يبحثون عن نسبه:

أنا ابن من بعضه يفوق أبا البـ ساحت والنجل بعض من نجله (١)

وإنما يذكر الجدود لهم من نفروه وانفدوا حيله

نسيه: ليس أبو الطيب من بيت مجد ولا أسرة شريفة إذ كان أبوه كما تقدم سقاء، ولكن ذلك لم يثبط من همته، ولم يفل من عزمته أو يحط من منزلته ب زاد فى علو نفسه حتى سما بها إلى مرتبة الأمراء بل الملوك، وقد مجن به الشعراء، وهجوه من هذه الناحية أى ناحية نسبه، والذى أغراهم بدمه، الوزير المهلبى ببغداد، حين أبى المتنبى مدحه، ترفعاً عن مدح غير الملوك، فوقع فيه حساده من الشعراء، حتى قال فيه أبو الحسين بن لنكك البصرى:

قولا لأهل زمان لا خلاق لهم ضلوا عن الرشيد من جهل بهم وعموا

أعطيتم المتنبى فوق منيته فزوجوه برغم أمهاتكم

لكن بغداد جاد الغيث ساكنها نعالهم فى قفا السقاء تزدهم

وقال أحدهم وقد تلتف فى هجائه:

أى فضل لشاعر يطلب الفضـ صل من الناس بكرة وعشياً

عاش حيناً يبيع بالكوفة المـ ساء وحيناً يبيع ماء المحيا

(١) كأنه يقول لولد سرابيه ويفضلى الذى عرفه الجميع أتم على فضل أبى لأنى بعضه وإنما يفتخر بالجدود من نفره الناس حتى نفدت حيله فى استمالتهم إليه.

ولكن المتنبي لم يأبه لقولهم، ولم يتصد لمعارضتهم، بل ترفع عنهم،  
وقال لقد فرغت من الرد على الذين هم أرفع منهم طبقة في الشعراء بقولي:

أرى المتشاعرين غروا بذمي      ومن ذا يحمد الداء العضالاً<sup>(١)</sup>  
ومن يك ذا فم مر مريض      يجد مرا به الماء الزلالاً  
وقولي:

أفى كل يوم تحت ضبني<sup>(٢)</sup> شويعر      ضعيف يقاويني قصير يطاول  
واتعب من ناداك من لا تجيبه      وأغيظ من عاداك من لا تشاكل  
وقولي:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص      فهي الشهادة لى بأنى كامل  
ويظهر لى أن المتنبي وقف أمام من هجاه من الشعراء موقف جرير أمام  
بشار بن برد، حين هجاه بشاره فلم يجبه، لئلا يرفع من شأنه، ويعد من  
طبقته، قال بشار ولم أهجه - يعنى جريرا - لأغلبه، ولكن ليجيبني فأكون  
من طبقته، ولو هجانى لكنت أشعر الناس أو كموقف البحترى أمام ابن  
الرومى فقد هجاه ابن الرومى فأهدى إليه البحترى ثيابا ودراهم وكتب إليه:

شاعرا لا أهابه      نبحتنى كلابه  
إن من لا أعززه      لعزيز جوابه  
محنته وسجنه:

طمحت نفس المتنبي إلى السيادة بالفتح، لأنه أس من نفسه قدرة على

(١) الشديد الذى أعيا الأطباء.

(٢) الضبن: ما بين الكشح والإبط.

تدبير الأمور، لا تقل عن مقدرة من كان يفوز بالسيادة والملك في ذلك العصر فدعا إلى بيعته شباباً من أترابه، ورواة شعره، في بادية بني كلب فأسرعوا لبيعته، وتصدوا لنصرته، ولما شاع أمره، وانتشر خبره، وشى به إلى لؤلؤ أمير حمص، من قبل الأخشيديين، فخرج الأمير لقتاله وتفرق عنه أصحابه، وقبض عليه وأودعه غياهب السجن، مقيداً مدة طويلة، حتى كاد يهلك، فاستعطفه أبو الطيب وهو سجين بقوله:

أمالك رقى ومن شأنه هبات اللجين وعتق العبيد  
دعوتك لما برانى البلى وأوهن رجلى ثقل الحديد

ثم سئل الأمير في أمره فاستتابه، وأطلق سراحه، بعد أن كان وطن نفسه على الموت، وفي ذلك يقول:

كن أيها السجين كيف شئت فقد وطنت للموت نفس معترف  
لو كان سكتاي فيك منقصة لم يكن الدر ساكن الصدف

رقة دينه: نشأ المتنبى في عصر كثر فيه الزنادقة والملحدون وفشت فيه المازعات الدينية، ووهن أمر الدين، فلم يبيل<sup>(١)</sup> أن يأتي في شعره بما يخالف أمر الدين، وقد تورط في ذلك حتى استصغر أمور الأنبياء، نعم إن سوء الاعتقاد الديني لا ينهض دليلاً على تأخر الشاعر، ولكن للدين حقه من الإجلال، الذي لا يسوغ لمتدين الإخلال به قولاً أو فعلاً، ومن استهان به فقد بآء بغضب من الله، وتعرض لمقته، ومن أبياته الزائغة قوله:

يترشفن من فمي رشقات هن فيه أحلى من التوحيد

(١) يقال لم أبال ولم أبلى أى اكترت انظر القاموس.

وقوله يمدح بدر بن عمار:

لو كان علمك بالإله مقبسا  
لو كان لفظك فيهم ما أنزل الت  
ى الناس ما بعث الإله رسولا  
سورة والفرقان والإنجيلا  
وقوله فى ابن زريق الطرموسى:

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه  
أو كان ليج البحر مثل يمينه  
لما أتى الظلمات صرت شموسا  
ما انشق حتى جاز فيه وسى  
أبدا ونطرد باسمه إبليسا

فما أجرأه قاتله الله على الدين، والاستهانة بمعجزات المرسلين، جزاء  
الله جزاء وفاقا.

### نبوءة المتنبى

أسلفنا الكلام فى عصر الفتن الدينية الذى نشأ فيه المتنبى، إذ ظهر فيه  
أمر القرامطة، وغزوا الكوفة، والمتنبى إذ ذاك فى الثانية عشرة من عمره،  
واختلطت دعوتهم بدعوة الإسماعيلية الذين كانوا يدينون بالمانوية، أى  
الأصلين النور والظلمة، وهى نحلة قديمة، ربما كان لها أتباع من المجوس فى  
الكوفة لقربها من فارس، وجملة القول أن هذه البيئة كانت مشوبة بالإلحاد  
فسافيتها الضلال، وترادفت فيها الفتن، وسقطت هيبة الدين، ولا شك أن  
ذلك مما يهون على المتنبى ادعاء النبوة إذا حدثته نفسه بهذا المطمع. فإذا صح  
أنه جهر بهذه الدعوة وأنه مع هذا كان يتسبب إلى العلويين. فلا غرابة فى  
ذلك وربما ادعى أنه الإمام الذى ينتظره القرامطة<sup>(١)</sup> وطائفة من الشيعة الإمامية

(١) حكى المعرى فى رسالة الغفران نقلا عن بعض محدثيه أن للقرامطة بيتا فى الاحساء =

أضف إلى ذلك أن المتنبى لم يكن يصلى ولا يصوم. ولا يقرأ القرآن ولا يؤدي الزكاة بعد أن أثرى رغم أنه كان قليل التوقير للأنبياء، تخف أسماؤهم على لسانه، حتى كان يقرن نفسه بهم، فمن قوله فى ذلك:

ما مقامى بأرض نخلة<sup>(١)</sup> إلا كمقام المسيح بين اليهود

وقد برئ من الإسلام، أو بالأحرى برئ منه الإسلام، حين مدح سيف الدلة بقوله:

إن كان مثلك كان أو هو كائن فبرئت حينئذ من الإسلام

هذا إلى ما تقدم من مدائح لبدر بن عمار، وابن زريق الطرموسى، التى حقر فيها من شأن الأنبياء ومعجزاتهم.

فلو كان يستشعر قلبه للدين رهبة، ولقمام الأنبياء حرمة، لما جرى على لسانه هذا الغلو الشنيع، الذى لا يسوغه دين ولا عقل. أضف إلى هذا وذاك أنه نظر فى كتب الفلاسفة، واستعرض بعض آرائهم وشكوكهم. كما يفهم من كثرة ما اقتبس من معانى أرسطو. ومن تردد عبارات الفلاسفة وأساليب المناطقة فى شعره، حتى ظهر الشك والتردد فى بعضه، فلا يسلم من الشك قوله:

فقليل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء فى العطب  
ومن تفكر فى الدنيا ومهجته<sup>(٢)</sup> إقامة الفكر بين العجز والتعب

=يزعمون أن إمامهم يخرج منه وعلى باب هذا البيت فرس مسرج ملجم ويقولون للطعام  
(هذا الفرس لركاب المهدي يركبه متى ظهر).

(١) اسم مواضع بالبادية والعراق واسم واديين بالشام واليمن على ليلة من مكة شرفها الله.

(٢) روجه.

ولا تنس غيظ المتنبي ممن كان يذكر له دعوته النبوة. ورغبته في دفن  
الخبر ونسيانه، وهذا كأقوى دليل في تعزيز الشبهة عليه.

قال أبو الفتح عثمان بن جني، سمعت أبا الطيب يقول، إنما لقيت  
بالتنبي لقولي:

أنا ترب النداء ورب القوافي      وسمام<sup>(١)</sup> العدا وغيظ الحسود  
أنا في أمة تداركها اللد      له غريب كصالح في ثمود

وسئل أبو العلاء المعري عن حقيقة ما نسب إلى المتنبي، من ادعاء النبوة  
فوقف في رده موقف الشاك المتردد في قبول ما نسب إليه، أو رفضه كما جاء  
في رسالة الغفران على علمه بأخبار المتنبي، وإعجابه به، ولم يكن بين قتل  
أبي الطيب وبين مولد أبي العلاء، غير فترة قصيرة نحو تسع سنين، فهو أحق  
من يثبت من صدق الخبر، لو كان إلى التثبت منه سبيل على كل حال لا  
يكون غريباً من رجل نشأ هذه النشأة، في ذلك العصر، على هذا الخلق،  
واطلع على ما اطلع عليه المتنبي، أن يطمع في المجد من طريق الدين ولكن  
هل فعل ذلك وجهر بادعاء النبوة؟ هذا ما لا سبيل إلى البت فيه برأى قاطع:

ومن دعا الناس إلى ذمه      ذموه بالحق وبالباطل

## رحلاته

تقييم الرجال الأغنياء بأرضهم      وترمى النوى بالمقترين المراميا

نشأ المتنبي في أسرة فقيرة، فما إن بنت عذاره، وطر شاربه، حتى نبأه  
وطنه، فتجشم أسفاراً أبعد من أماله، ومشى في مناكب<sup>(٢)</sup> الأرض، يطوى

(١) جمع سم مثلثة السين معروف. (٢) جوانب.

المراحل، ويرد المناهل لا زاد معه يحمله، ولا مطية إلا خفه أو نعله.  
قدحدث بذلك عن نفسه إذ يقول:

ومهمه<sup>(١)</sup> جبته على قدمي تعجز عنه العرامس<sup>(٢)</sup> الذلل<sup>(٣)</sup>

إذا صديق أنكرت جانبه لم تعينى فى فراقه الحيل

وستان ما بين حاله هذه وبين الحال التى قال فيها يخاطب سيف الدولة:

تركت السرى خلفى لمن قل ماله وانعلت أفراسى بنعماك عسجدا<sup>(٤)</sup>

وقيدت نفسى فى هواك محبة ومن وجد الإحسان قيذا تقيدا

### رحلته الأولى

٣٢٠ - ٣٣٧ هـ، ٩٣٢ - ٩٤٨ م

كانت غرة رحلاته الميمونة إلى بلاد الشام، حيث انتقل من بدوها إلى حضرها، وقصد طبرية واللاذقية وأنطاكية، فاتصل فى طبرية ببدر بن عمار وفى اللاذقية بالتونخين، وفى أنطاكية بأبى العشائر الحمدانى قريب سيف الدولة، وكان يمدح من اتصل بهم لا يضمن بمداثحه على أحد، فكان كما وصفه صاحب يتيمة الدهر، «يمدح القريب والغريب، ويصطاد ما بين الكركى<sup>(٥)</sup> والعندليب» مدح على بن منصور الحاجب بقصيدته التى منها:

حالا متى علم ابن منصور بها جاء الزمان إلى منها تأبنا

فأعطاه عليها ديناراً واحدا فسميت الدينارية.

(١) مفازة والوار وأورب.

(٢) جمع عرمس الناقة الصلبة.

(٣) جمع ذلول سهلة الانقياد.

(٤) ذهبا.

(٥) الكركى طائر معروف والعندليب الهزار ويجمع على عنادل.

ومن مدائحه فى بدر بن عمار قوله:

نطقت بسؤددك الحمام تغنيا وبما تجشمها<sup>(١)</sup> الجياد صهيلا

ما كل من طلب المعالى نافذا فيها ولا كل الرجال فحولا

وأشاد بذكر التنوخين بقصيدته التى رثى بها محمد بن إسحق التنوخى

ومنها:

ما كنت أحسب قبل دفنك فى الثرى أن الكواكب فى التراب تمور<sup>(٢)</sup>

ما كنت أمل قبل نعشك أن أرى رضوى على أيدى الرجال يسير

ومن عيون مدائحه فى أبى العشائر قوله:

الناس ما لم يروك أشباه والدهر لفظ وأنت مـعناه

والجـود عين وأنت ناظره والبأس باع<sup>(٣)</sup> وأنت يمناه

### رحلته إلى حلب

٣٣٧ - ٣٤٦ هـ، ٩٤٨ - ٩٥٧ م

كان سيف الدولة أميرا على حلب محبا للأدب عارفاً بجيد الشعر وشاعرا مجيدا فى بعض أوقاته. اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر عدد كبير قلما يجتمع على باب غيره من أمراء عصره أنطاكية على أبى العشائر الحمدانى وعنده المتنبى يمدحه، فقدم إليه سيف الدولة وعرفه منزله من الشعر والأدب وأثنى عليه، ولما رحل سيف الدولة عن أنطاكية رافقه

(١) تجشم الأمر تكلفه.

(٢) تختفى من قولهم سهم ما ترى داخل فى الجسم.

(٣) قدر مد اليدين.

المتنبى وأقام عنده منقطعا إليه لا يمدخ غيره، فحسن موقعه عنده وهو الذى جذب بضبعه<sup>(١)</sup>، ورفع من قدره، وخلع عليه وأجازته الجوائز السنوية، فكان جملة ما قال أبو الطيب فى مدحه يعادل ثلث شعره وهو أجوده ولا غرابة، فالإحسان يطلق اللسان فهو كما قال فيه أحد الشعراء:

لئن جاد شعر بن الحسن فإنما تجيد العطايا واللهي<sup>(٢)</sup> تفتح اللهها<sup>(٣)</sup>

وقد خلد الشعر ذكرهما، وجمع بين اسميهما إلى الأبد، وذاع صيت المتنبى فملاً أذن الدنيا وبصرها، وغلت مراحل الحقد فى قلوب الشعراء بعضاله وحسدا فرموه بكل قبيح وسعوا به لدى أميره، فكان المتنبى يستنجد بأمره فى رد كيدهم لأن اصطفاه له كان سبب حسدهم، وفى ذلك يقول:

أزل حسد الحساد عنى بكتبهم<sup>(٤)</sup> فأنت الذى صيرتهم لى حسدا

ومن حبه إياه لازمه فى حربه وسلمه، وقدمه إلى الروض ليعلموه الفروسية، وقد شهد معه بعض المواقع الحربية، ومن عيون مدائح فى سيف الدولة، قوله:

هو البحر غص فيه إذا كان ساكنا على الدر واحذره إذا كان مزبدا  
تظل ملوك الأرض خاضعة له تفارقه هلكى وتلقاه سجدا  
وتحسى له المال الصوارم والقنا ويقتل ما تحسى التبسم والجدا

(١) الضبع العضد كلها أو وسطها.

(٢) اللهى أفضل العطايا.

(٣) اللهها. اللحمة المشرفة على الخلق.

(٤) كبت العدو أذله أورده بغيظه.

ومن أبياته التي تدل على اعترافه بما كان يدر عليه من أميره من أنواع الخيرات قوله وقد خرج إلى أقطاع أقطعه إياه سيف الدولة بمعرة النعمان:

أسير إلى أقطاعه في ثيابه على طرفه<sup>(١)</sup> من داره بحسامه

لبث المتنبي أثيراً<sup>(٢)</sup> عند سيف الدولة إذ كان غير مدافع في شاعريته، ولا منازع في عبقريته، فأغرى ذلك حساده من الأدباء على الوقعة فيه، والسعاية به لدى أميره، حتى أوغروا عليه صدره وأثاروا حقه، وكان من شدهم له عداوة، وأكثرهم، نكايه، أبو فراس الحمداني قريب سيف الدولة، فجرحوا كبريائه ونغصوا عيشه، ولما تنكر له سيف الدولة، أخذ هو يستسمحه ويترضاه، ويعتذر له عن غير ذنب جناه، فقرض قصيدته الميمية التي مطلعها:

واحر قلباه ممن قلبه شيب<sup>(٣)</sup> ومن بجسمى وحالى عنده سقم

ثم أنشده إياها في مجلس ضم عليه الناس، وفيهم خصمه الألد أبو فراس فلما وصل إلى قوله:

يا أعدل الناس إلا في معاملتى فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

ابتدره أبو فراس بقوله، لقد مسخت قول دعبل وادعيتيه، وهو:

ولست أرجو انتصافاً منك ما ذرفت عيني دموعاً وأنت الخصم والحكم

فلم يحر المتنبي جواباً، إلى أن وصل إلى قوله:

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

ففظن أبو فراس إلى أنه يعنيه بذلك. فقال له ومن أنت يا دعي كندة

حتى تقع في أعراض أهل الأمير في مجلسه فكظم المتنبي غيظه إلى أن قال:

(١) الكريم من الخيل. (٢) مقداً. (٣) الشيم. البارد.

إن كان سرکم ما قال حاسدنا فما الجرح إذا أرضاکم ألم

فقال أبو فراس أخذت هذا من قول بشار:

إذا رضیتم بأن نجفی وسرکم قول الوشاة فلا شکوی ولا ضجر

وهكذا أخذ أبو فراس في معارضته ورده كل معنى إلى قائله وأغفل المتنبي الدفاع عن نفسه مما يدل على كثرة سرقاته في شعره وعلى منزلة أبي فراس في الأدب وسرعة بديهته. ورغم هذا فقد أزال هذه القصيدة موجدہ سيف الدولة عليه فأظهر له رضاه وأجمل جائزته وأدناه.

ثم اتفق أن اجتمع المتنبي وابن خالويه النحوي في حضرة سيف الدولة فعرضت مسألة لغوية أثارت بينهما الجدل والمناظرة وأدى الأمر إلى النفور فالمهاترة فوثب ابن خالويه على المتنبي وشجه بمفتاح حديد كان في يده فلم ير المتنبي من أميره دفاعا عنه ولا انتصارا له فأغضبه ذلك فرحل عنه إلى دمشق وعلق بها مناه وألقى بها عصاه وأقام بها حيناً وكان أميرها ابن ملك اليهودي من قبل ملك مصر كافور الأخشيدى فطلب من المتنبي أن يكون من ممدوحيه فثقل ذلك عليه فغضب اليهودي وجعل كافور يكتب إلى ابن ملك في طلب المتنبي ولحقده عليه كتب إلى كافور أن أبا الطيب قال «لا أقصد العبد وإن دخلت مصر فما قصدى إلا ابن سيده».

وما قضى أحد منها لبانته ولا انتهى أرب إلا إلى أرب

**رحلته إلى الرملة فمصر**

٣٤٦ - ٣٥٠هـ، ٩٥٧ - ٩٦١م

وإن نبت بك أوطان نشأت بها فارحل فكل بلاد الله أوطان

لما اجتوى أبو الطيب دمشق سار منها إلى الرملة فحمل إليه أميرها الحسن بن طغج هدايا نفيسة واحتفى بمنقدمه وحمله على فرس عتيق وقلده سيفاً محلى وسار به في موكب عظيم ولما علم كافور بمجيئه إلى الرملة ازدادت رغبته في أن يكون من حاشيته كي ينافس به أمراء عصره فكتب في طلبه إلى أمير الرملة حتى كان يقول لبعض جلسائه «أترونه يبلغ الرملة ولا يأتينا» وبعد الخاف من أمير الرملة على أبي الطيب في قدومه إلى مصر، سار إليها فرحب به كافور وأخلى له داراً وحمل إليه أموالاً كثيرة فمدحه المتنبي بمدائح خلدت ذكره وفاء لحقه، وانتقاماً من سيف الدولة لنفسه، إذ كان يعلم عداوة ملكه الجديد لبنى حمدان:

ومن جيد مدائحه فيه قوله:

قواصد كافور توارك غيره      ومن قصد البحر استقل السواقيا<sup>(١)</sup>  
 فجاءت بنا إنسان عين زمانه      وختل بياضاً خلفها وماقيا<sup>(٢)</sup>  
 إذا كسب الناس المعالي بالندا      فإنك تعطى في نذاك المعاليا

والبيت الثاني أبدع ما يقال في مدح ملك أسود. وكان المتنبي إنما يمدح كافوراً طمعاً في ولاية يتولاها، أو إمارة يفتخر بها، وقد كان كافور أطمعه بذلك بادئ بدء، فأخذ أبو الطيب يتلطف في الاقتضاء الذي يلين الصخر، ويستتزل العصم<sup>(٣)</sup>، فمن قوله في ذلك:

يا ذا الذي يهب الكثير وعنده      أنى عليه بأخذه أتصدق

(١) الساقة النهر الصغير. (٢) جمع مؤق مؤخر العين من جهة الأنف.

(٣) جمع أعصم وهو من الطباء والوعول ما في ذراعيه أو في إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر.

وقوله :

أبا المسك هل فى الكاس فضل أناله      فإنى أغنى منذ حين وتشرب  
إذا لم تنط بى ضيعة أو ولاية      فجودك يكسونى وشغلك يسلب<sup>(١)</sup>

وقد مدح شاعرنا بمصر أبا القاسم أنوجور سيد كافور، فقال من الإكرام  
والمال قدرا وافرأ، حتى كان يقف بين يدى كافور وفى رجليه خفان وفى  
وسطه سيف ومنطقة، ويركب بحاجيين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق .

واستأذن أبو الطيب كافورا فى مدح أبى شجاع فاتك فأذن له، وأبو  
شجاع هو من أصل رومى أسر صغيرا فأخذه الأخشيد من سيده بالرملة  
وأعتقه، فنشأ شجاعا كريم النفس بعيد الهمة، فلما مات الإخشيد، وتقرر  
كافور فى خدمة ابن سيده، أنف فاتك من الإقامة بالقاهرة كى لا يرى كافورا  
أعلى منه رتبة، وكانت الفيوم أقطاعا له فانتقل إليها، ولما أحوجته الصلة إلى  
الانتقال إلى القاهرة قابل المتنبى مصادفة فى الصحراء ثم تبادلوا الرسائل ومن  
قوله يمدحه :

لا خيل عندك تهديها ولا مال      فليسعد النطق إن لم تسعد الحال  
وما شكرت لأن المال فرحنى      سيان عندى إكثار وإقلال  
لكن رأيت قبيحا أن يجادلنا      وإنما بقضاء الحق بخال

ولما مات رثاه بقصيدته العينية المشهورة التى مطلعها :

الحزن يقلق والتجمل يردع      والدمع بينهما عصى طبع

ومنها :

(١) أى شغلك عنى يسلبنى ما منحت .

المجد اخسر والمكارم صفقة من أن يعيش بها الكريم إلا روع (١)  
والناس أنزل في زمانك منزلا من أن تعایشهم وقدرک أرفع

### عتب واعتذار

أغفل المتنبي وصف البلاد المصرية، وما فيها من آثار خالدة، ونعمة وافرة، ونيل عذب، وسماء صافية، مع أنه وصف بحيرة طبرية وشعب بوان وبالغ في وصفهما، ولعل عذره في ذلك أنه قصد مصر طالب حاجة فامتنتع عليه فخرج منها هاربا؛ ومن ملكها غاضبا على أنه ذكر في شعره النيل والهرم، فأشار إلى النيل في قصيدة أرسلها إلي سيف الدولة بعد خروجه من مصر فقال:

من عبيدي إن عشت لي ألف كافور ولى من نذاك ريف ونبل

وعرض لذكر الهرمين في رثاء أبي شعاع إذ يقول:

أين الذي الهرمان من بنيانه ما يومه ما قومه ما المصرع

ورمى أهل مصر بالجهل في قوله:

وماذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا

وقال في مسلمي مصر:

أبلغ الدين أن تحفوا شواربكم يا أمة ضحكت من جهلها الأمم

ولعل تبرمه واستخفافه بأهل مص نتيجة حقه على كافور وإخفاقه في

مسعاه:

ومن يك ذا فمر مر مريض يجد مرابه الماء الزلالا

(١) من يعجبك بحسنه وجهاره منظره.

## رحلته من مصر إلى العراق

٣٥١ - ٣٥٣هـ، ٩١٦ - ٩٦٥م

يئس المنتبى من تحقيق أمله، وخافه كافور لكبريائه وسموه فى شعره، حتى قال لمن عاتبه فى أمره، «يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد ﷺ، أما يدعى الملك بعد كافور فحسبكم» فاستأذن كافورا فى الهجرة من مصر فأبى عليه ذلك، تقيه منه، وحذرا من لسانه، غير أنه أعد لهجرتة العدة، وانتهز لذلك الفرصة، وخرج من مصر فى ليلة عيد الأضحى على حين غفلة، ونظم فى هجو كافور قصائد ومقطعا كانت عليه أليمة الوقع، شديدة الوطأة، فأرسل كافور بعض رجاله فى طلب المنتبى فلم يدركوه، وسار توا إلى بغداد مقر الخليفة المطيع لله العباسى.

ومن قوله فى هجائه يذكر استبداده بمنعه:

إنى نزلت بكذابين ضيفهم      عن القرى وعن الترحال محدود  
جود الرجال من الأيدى وجودهم      من اللسان فلا كانوا ولا الجود  
ما يقبض الموت نفسا من نفوسهم      ألا وفى يده من ننتها عود

وقد أفحش فى هجائه وسنذكر طرفا من ذلك فى نماذج شعره ثم تابع سيره إلى الكوفة فمدح بها أبا الفوارس «دلير بن لشكروز» ثم قصد أرجان فمدح بها ابن العميد أبا الفضل محمد بن الحسن وزير ركن الدولة وأقام عنده مدة ثم قصد شيراز فمدح بها عضد الدولة وحظى عنده ولكنه لم تطل مدة إقامته فأراد الرجوع إلى بغداد.

## رحلته الأخيرة

خرج أبو الطيب من شيراز قاصدا بغداد، بعد أن أثقله عضد الدولة بالذخائر والنفائس، وكان معه ابنه محسد، وبين يديه غلماناه وخدمه، فلما كان بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية بالجانب الغربي من سواد العراق، خرج عليه جماعة قيل من الخفراء وكانوا قد طلبوا منه خمسين درهما ليسيروا معه فمنعه الشح والكبر فتقدموه وقتلوه، وقيل جماعة من بني ضبة جهزهم عضد الدولة لقتله، لأنه كان قد دس عليه من سألته كيف هذا العطاء من عطاء سيف الدولة، فقال هذا أجزل إلا أنه متكلف، وسيف الدولة كان يعطى طبعاً، وقيل فاتك بن أبي جهل الأسدي وجماعة من أصحابه تأمروا على قتله، لأن المتنبى كان قد هجا ضبة ابن يزيد ابن أخته، وتعرض لأمه، وأفحش في هجوهما، فغاض ذلك فاتكاً، وتحين الفرص للفتك به، فلما التقيا تقاتلا قتالا عنيفاً، ورأى المتنبى أن الدائرة عليه، فهم بالفرار، فقال له أحد غلماناه، لا يتحدث الناس عنك بالفرار وأنت القائل:

فالحيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقال له المتنبى قتلتي قتلك الله، ورجع وقاتل حتى قتل هو وابنه مسد وغلماه مفلح، وكان ذلك في رمضان سنة ٣٥٤هـ و٩٦٥ ميلادية.

## المتنبى نعى نفسه

نعى المتنبى نفسه في آخر قصيدة له مدح بها عضد الدولة بن بويه، إذ جرى على لسانه في إضعافها ما يتطير<sup>(١)</sup> منه، كقوله فيها:

(١) يتشاءم.

إذا التوديع أعرض قال قلبين عليك<sup>(١)</sup> الصمت لا صاحبت فاكا  
فلو أنى استطعت خفضت طرفى فلم أبصر به<sup>(٢)</sup> حتى أراكا  
وأيا شئت يا طرفى فكونى أذاه أو نجاه أو هلاكاً

ألم تر إلى قوله «عليك الصمت» وقوله «لا صاحبت فاكا» الذى هو دعاء قلبه عليه، وقوله خفضت طرفى فلم أبصر به، وهذا مما يتشأم منه. وقيل أن عضد الدولة قال «تطيرت عليه من ذكره النجاة بين الأداة والهلاك».

### رثاؤه

رثى المتنبي كثير من الشعراء المجيدين، منهم أبو الفتح عثمان بن جنى النحوى المشهور، وأبو القاسم مظفر بن على الطبسى، ومن قول هذا فى رثائه:

كان من نفسه الكبيرة فى جيد ش وفى كبرياء ذى سلطان  
ما رأى الناس ثانى المتنبي أى ثان يرى لبكر الزمان  
هو فى شعره نبي ولكن ظهرت معجزاته فى المعانى

### أخلاقه وصفاته

خلق المرء حال من أحوال نفسه، تصدر عنها أفعاله الاختيارية، من غير فكر ولا روية، ويتكون الخلق من البيئة الطبيعية والاجتماعية، ومن الحوادث التى يصادفها فى إبان حياته، والعادات التى تعودها منذ نعومة أظفاره، ومن هنا جاء اختلاف الناس فى الصفات والعادات، فكان منهم الخبيث والطيب، والمسيء والمحسن، ولما كانت دراسة الخلق فى شخص تتوقف على معرفة

(١) الزم. (٢) يريد سرعة الأوية.

حياته الأولى بين أسرته وخلطائه، ونحن لم نقف على شيء من تاريخ حياة المتنبي سوى ما تركه لنا من شعره، وكان قوله أصدق كلم وأعدل حكم:

الشعر يحفظ ما أودى الزمان به      والشعر أصدق ما ينبي عن الكرم  
لولا مقال زهير في قصائده      ما كنت تعرف جوذاً كان في هرم<sup>(١)</sup>

### تلون المتنبي

كان أبو الطيب كثير التلون، ليس في أمرائه رأى ثابت، ولا عقيدة راسخة، يمدحهم إذا طرب، ويهجوهم إذا غضب، وهو بالغ أقصى الغاية في ثنائه وهجائه، شأنه مع سيف الدولة الحمداني، وكافور الأخشيدى، اشترط على أولهما عند اتصاله به أن ينشده مدائحه جالسا وأبى إلا أن ينشد ثانيهما قائما ولما سئل عن ذلك أجاب:

يقبل له القيام على الرؤوس      وبذل الكرمات من النفوس

كان المتنبي يرفع من شأن العرب، ولا يرضى أن يكون ملوكهم من العجم فيقول:

وإنما الناس بالملوك وما      تفلح عرب ملوكها عج

ثم يناقض نفسه، فيمدح عضد الدولة بن بويه الأعجمي ويشيد بذكره وآله إذ يقول:

في وجهه من نور خالقه      غرر هي الآيات والصور

فوق السماك<sup>(٢)</sup> وفوق ما طلبوا      فإذا أرادوا غياية نزلوا

(١) هرم بن سنان المرى بمدوح زهير بن أبي سلمى.

(٢) أحد السماكين الأعزل والرامح وهما نجمان نيران.

مما تقدم نعلم أنه متلون كالحرباء<sup>(١)</sup> طمعا في مال ينيله مأربه، أو مركز سام يناسب أدبه.

### سرعة غضبه

كان المتنبي سريع الغضب، شديد التأثير، وقد حملة ذلك على مفارقتة سيف الدولة بطرا<sup>(٢)</sup> حتى قال فيه هجرا<sup>(٣)</sup>:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونهُ وصدق ما يعتاده من توهم

ولكنه لما هدأت سورة غضبه، أظهر ندمه، واعترف بخطئه، إذ يقول:

وفارقت خير الناس قاصد شرمهم وأكرمهم طراً<sup>(٤)</sup> للأأمهم طراً

فعاقبنى المخصى بالغدر جازيا لأن رحيلي كان عن حلب غدرأ

### غلظة المتنبي وقسوته

كان أبو الطيب عاتياً جباراً، يبنى نفسه بالانتقام، ويغرى غيره بالقسوة على الناس. مما يدل على هذا الخلق قوله:

ومن عرف الأيام معرفتى بها وبالناس روى رمحه غير راحم

فليس بمرحوم إذا ظفروا به ولا فى الردى<sup>(٥)</sup> الجارى عليهم بأثم

وقد حرض غيره على القسوة بقوله:

(١) دوية تستقبل الشمس برأسها.

(٢) البطر قلة احتمال النعمة.

(٣) الهجر بالضم القبيح من الكلام.

(٤) جميعا.

(٥) الهلاك.

وكن كالموت لا يرثي لباك      بكى منه ويروى وهو صاد<sup>(١)</sup>.  
 فإن الجرح ينغر<sup>(٢)</sup> بعد حين      إذا كان البناء على فساد.  
 وما هجاؤه المقذع إلا كنتيجة لهذا الخلق فقد غلا في النيل ممن هجاه.  
 حتى لم يترك لهاج سبابا، ولم يدع للمصلح بابا، ولقد كان وقع هجائه على  
 أعدائه أشد من وقع السهام في غلس الظلام، ألم تر إلى قوله في هجو  
 كافور:

من كل رخو وكاء<sup>(٣)</sup> البطن منفتق      لا فى الرجال ولا النسوان معدود  
 أمينا وأخلاقا وغدراً وخسة      وجبنا أشخاصا لحت لى أم مخازيا

### المتنبى يسأل الحافا

إذا رجعنا النظر إلى ما دونه التاريخ من حوادث الشعراء مع ممدوحيههم  
 وقبولهم لعطاياهم أو ترفعهم عن ذلك. عرفنا من تلك الحوادث نفسية كل  
 شاعر وما اتصف به من إباء ورفعة، أو ذلة وضعفة، وإذا علمنا أن قبول  
 العطاء مذلة، فما بالك بالاستجداء وإراقة ماء المحيا.

يروى لنا التاريخ تعفف زهير بن أبى سلمى عن قبول العطاء من  
 ممدوحه هرم بن سنان المرى، إذ تتابعت عليه عطاياه فكان يعطيه كلما مدحه  
 أو سأله أو سلم عليه وليدة أو عبدا أو فرسا، فاستحيا زهير وكان إذا وجده  
 فى ملاً. قال أنعموا صباحاً غير هرم وخيركم استثنيت، كما يروى لنا التاريخ  
 ما قاله لييد بن ربيعة العامرى لابنته حين مدحت الوليد بن عقبة والى الكوفة  
 لأنه أهدى إليه مائة بكرة<sup>(٤)</sup> لينحرها إعانة له على الوفاء بنذره فقد كان لييد

(١) عطشان.

(٢) نفر الجرح ورم.

(٣) خيط يشد به فم القربة.

(٤) الفتية من الإبل.

نذر فى الجاهلية ألا تهب ريح الصبا<sup>(١)</sup> إلا أطعم، فلما هبت الصبا ولبيد بالكوفة ذو حاجة، حث الوليد أهل الكوفة على إعانته وبدأه بالطاء وكتب إليه أبياتا منها:

أرى الجزار يشحد شفرتيه إذا هبت رياح أبى عقيل  
أشم<sup>(٢)</sup> الأنف أصيد<sup>(٣)</sup> عامرى طويل الباع كالسيف الصقيل  
فقال لبيد لابنته أجيبه فلعمرى لقد عشت برهة وما أعيأ بجواب شاعر  
وإنما لم يجبه هو أنه ما قال شعراً منذ أسلم، ولم يرو له إلا بيت واحد وهو:

الحمد لله الذى لم يأتنى أجلى حتى لبست من الإسلام سربالا  
فأجابته ابنته بقولها:

إذا هبت رياح أبى عقيل دعونا عند هبتها الوليدا  
أشم الأنف أروع عبشميا<sup>(٤)</sup> أعان على مروءته لبيدا  
إلى أن قالت:

فعدان الكريم له معاد وعهدى بابن أروى أن يعودا

فقال لبيد: «قد أحسنت لولا أنك استطعمته» فقالت إن الملوك لا يستحى من مسألتهم، فقال لها «وأنت يا بنية فى هذا أشعر».

على أن ذلك الشمم، وهذا الإباء، لم يكن من خصائص شعراء الجاهليين أو المخضرمين فقط، بل كان فى الشعراء الذين يعدون فى طبقة

(١) ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش . (٢) سيد ذو أنفة .

(٣) ملك ورافع رأسه كبيرا . (٤) منسوب إلى عبد شمس .

المتنبى ومن معاصريه، أمثال الشريف الرضى الذى رد هدية بعث بها إليه الوزير فخر الملك وزير بهاء الدولة حينما علم بولادة ابن للشريف. فوصله بألف دينار وقال إنها أجرة القابلة فردها الشريف وقال له «أنا أهل بيت لا يطلع على أحوالنا قابلة غريبة، وإنما عجايزنا يتولين هذا الأمر من نساءنا، ولنس من يأخذن أجرة، ولا يقبلن صلة، أما شاعرنا فقد خلع فى ذلك العذار، وأراق ماء وجهه فى طلب الدرهم والدينار، وكلما أجزلوا عطاءه، فتحوا لهاته وأطلقوا لسانه فمن قوله يستندى كافورا ويطلب تكرار صلته:

ومكرمات مشت على قدم السيد      سر إلى منزلى تردها  
فعد بها لا عدمتها أبدا      فخير صلوات الكريم أعودها  
وقوله:

يا ذا الذى يهب الكثير وعنده      أنى عليه بأخذه أتصدق  
أمطر على سحاب جودك ثرة<sup>(١)</sup>      وانظر إلى برحمة لا أغرق  
وقوله يخدعه بمدائح حتى يهبه ولاية أو إمارة:

قالوا هجرت الغيث قلت لهم      إلى غيوث يديه والشآبيب<sup>(٢)</sup>  
إلى الذى تهب الدولات راحته      ولا يمن على آثار موهوب

ولو أن شاعرنا وقف مدائح عند الشكر على العطاء ليكون بمثابة قضاء الدين، لكان موقف كريم، وندر منه أن يقف هذا الموقف فى شكر أبى شجاع فاتك إذ يقول:

(١) سحاب ثرة أى كثير المطر.

(٢) جمع شؤبوب الدفعة من المطر.

وما شكرت لأن المال فرحني      سيان عندي إكثار وإقلال  
لكن رأيت قبيحا أن يجادلنا      وإنما يقضء الحق بخال  
وكان أحيانا يثوب إلى رشده وينحى باللائمة على نفسه، وذلك إذا لم  
يتل مآربا، أو لم يصب غرضا حيث يقول:

أبعين مفتقر إليك نظرتني      فاهتنتي وقذفتني من حالق<sup>(١)</sup>  
لست الملوك أنا الملووم لأنني      أنزلت آمالي بغير الخالق

وما كان أجمل مذهبه لو سلك هذا المسلك ولكنه الطمع يحفز صاحبه  
إلى الصغار ويسمه الذل والهوان.

### كبرياؤه

اشتهر أبو الطيب بالكبرياء تلك الصفة التي تجلت مظاهرها في حبه  
السيادة، والترفع عن الدنيا، واحتقار غيره والرغبة في مساواة الملوك،  
والأمراء وهي عواطف سامية، ترافق الشاعر في أطوار حياته، فتظهر في  
شعره وفي كل قصيدة نظمها في مدح أو هجو، أو حكم أو فخر، وإن أنفته  
أو عزة نفسه، أو رثناه صفات حسنة، كالشهامه والصبر والعفة وإطراح الملاذ  
الخيثة كسرب الخمر وما يتبعه من المجون والهزل، كما أورثناه الحقد على  
الناس؛ والفحش في القول مما يراه المطلع على كثير من قصائده، وقد زعم  
كثير من الناس أن كبر أبي الطيب شمم وإباء، أو شجاعة وإقدام، أو ذكاء  
ونبل، لأن أسدل عليه بحسن سبكه ستارا جميلا فحسبه الناس حسنة من  
حسنته.

(١) جبل مرتفع.

كبر بلاء نسب تيه بلا حسب فخر بلا أدب هذا من العجب

**غروره بنفسه:** كان من نتائج كبره إعجابه بنفسه، وغروره بإعماله، وفخره بما ينسب إليه، وكأنه كان يراقب حركات الناس ليرى هل يعطونه من الإجلال ما يزعم أنه مفروض عليهم قبله، فإذا بدا له شيء من تقصيرهم، صب عليهم جام غضبه، وأصلاهم نار حقه، لذا كان دائم التذمر من الناس حاقدًا عليهم، سيء الظن بنياتهم، وسترى أثر ذلك في شعره.

وإن أحق الناس باللوم شاعر يلوم على البخل الرجال ويبخل

ومن نوادر بخله ما رواه الخوارزمي، قال حضرت عند المتنبى يوما بحلب، وقد أحضر مالا من صلات سيف الدولة، فصب بين يديه على حصير قد افترشه، ووزن وأعيد في الكيس، وإذا بقطعه كأصغر ما يكون من ذلك المال، قد تخللت خلل الحصير، فأكب عليها بمجامعه ينقرها ويعالج استنقاذا منها، ويشغل بذلك عن جلسائه، حتى توصل إلى إظهار بعضها فتمثل بيت قيس بن الخطيم:

تبدت لنا كالشمس بين غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ثم استخرجها وأمر بإعادتها إلى مكانها من الكيس. فقال بعض جلسائه أما يكفيك ما في هذه الأكياس حتى آدميت أصبعك لأجل هذه القطعة، فقال أنها تحضر المائدة، وقد ليم شاعرنا على تصرفه المعيب، وحرصه الشائن، وهو المتمدح بالشجاعة وعجيب أن تجتمع الشجاعة التي هي بذل الروح، والبخل وهو الضن بيسير المال، وأعجب من ذا أن يذم البخل ويتصف به، فهو القائل:

ومن ينفق الساعات في جمع مال مخافة فقر فالذى فعل الفقر

وقد ذكر سبب بخله حادثة أسوقها إليك لا تبريراً له، إذ أنها مما يقع كثيراً، فلا تنهض حجة له، قال وردت في صباى من الكوفة إلى بغداد، وأخذت خمسة دراهم في جانب مندلي، وخرجت أمشى في أسواق بغداد، فمررت برجل يبيع الفاكهة، فرأيت عنده خمسة من البطيخ باكورة فاستحسنتها، ونويت أن أشتريها بالدرهم التي معي، فتقدمت إليه وسومته بثمانها، فقال لى بازدرء «اذهب فليس هذا من أكلك» فتماسكت معه، وقلت أيها الرجل، دع ما يغيظ واقصد الثمن» فقال ثمنها عشرة دراهم، فلشدة ما جبهنى به لم أستطع أن أخاطبه فى المساومة، فوقفت حائراً ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل وإذا بشيخ من التجار قد مر بنا، فوثب إليه صاحب البطيخ ودعا له، وقال يا مولاي ها بطيخ باكورة بأجازتك أحمله إلى منزلك، فقال الشيخ ويحك بكم هذا» فقال «بخمسة دراهم» فقال بل بدرهمين، فباعه الخمسة بدرهمين وحملها إلى داره ودعا له وعاد مسروراً، فقلت يا هذا ما رأيت أعجب من جهلك، استمت على فى هذا البطيخ وفعلت فعلتك التي فعلت وكنت أعطيتك فى ثمنه خمسة دراهم، فبعته بدرهمين محمولاً، فقال اسكت هذا يملك مائة ألف دينار فقلت فى نفسى «أن الناس لا يكرمون أحدا إكرامهم من يعتقدون أنه يملك مائة ألف دينار، واعتمدت أن يكون عندى مثلها فأنا أجد فى ذلك على ما تراه حتى يقولوا أن أبا الطيب عنده مائة ألف دينار».

ولعل السبب الحقيقى فى بخله هو ما ذاقه من لوعة الفقر وشظف العيش فى حياته الأولى وما منى به نفسه من الملك الذى كان ينتظر. أن يكون له من ماله دولة، تحقق آماله غير أن بخله رضى به من حالى وكان سبب حنقه فربما تكون منية المتمنى فى أمنيته، وقد يسبق الحين جهد الحريص:

يا قليل الخير موفور الصلف      والذى حاز فى التيه السرف  
كن بخيلاً وتواضع تحتمل      أو سخيا يحتمل منك الصلف

## أدب أبى الطيب

### ذبوع شعره:

وما الدهر إلا من رواة قصائدى      إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا  
فسار به من لا يسير مشمرا      وغنى به من لا يغنى مفردا  
ولقد صدقت نبوءة المتنبى بشعره، فلم يكن ينظم قصيدة حتى تسير مع  
الركبان، وتنتقل إلى كل مكان، ويحفظها أهل الوبر والمدر؛ ويستشهد بأبياتها  
البدو والحضر؛ وينشدها الصبي فى درسه؛ ويشدو بها المغنى فى مجلس أنسه  
وما أقلام كتاب الرسائل؛ بأجرى بها من ألسن الخطباء فى المحافل؛ وبدا  
أصبح فريدا فى هذه الشهرة التى يتمتع بها فى حياته، ولم تكن لتنتهى بعد  
مرور ألف سنة أو يزيد من وفاته.

نادرة: حكى بعض أصحاب ابن العميد، قال «دخلت عليه يوما قبل أن  
يتصل به المتنبى فوجدته واجما، وكان قد ماتت أخته من قريب، فظننته  
واجدا لأجلا فقلت لا يحزن الله الوزير فما الخبر، قال إنه ليغىظنى أمر هذا  
المتنبى واجتهادى فى أن أحمد ذكره، فقد ورد على نيف وستون كتابا فى  
التعزية ما منها إلا قد صدر بقوله:

طوى<sup>(١)</sup> الجزيرة حتى جاني خبر      فزعت فيه بآمالى إلى الكذب

(١) يقول طوى الجزيرة الخير ورجا أن يكون كذبا ولما كذب الأمل كثر بكاؤه حتى كان الدمع  
لإحاطته بى كاد يشرق.

حتى إذا لم يدع لى صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى

فكيف السبيل إلى إخماد ذكره، فقلت له القدر لا يغالب الرجل ذو حظ فى إشاعة الذكر، واشتهار الاسم، فالأولى ألا تشغل فكرك بهذا الأمر، وليلاحظ أن المتنبي قرض القصيدة التى منها هذان البيتان قبل وفاة أخت ابن العميد بسنة أو أقل فكأها طافت الجزيرة فى أقل من سنة.

أما أسباب شهرته فمن أقواها فضل شاعرنا، ومثانة سلوبه، وكثرة أبياته الحكيمة التى انفرد بها، وما يتبع ذلك من منافسة الأمراء بمادحيهم ومدائحهم، فى ذلك العصر عصر الانقسام والتنافس بين الأمراء، ولا تنس فضل حسد الناس له وتحاملهم عليه فى تلك الشهرة والله در أبى تمام القائل:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتغال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

فكل تلك الأسباب أذاعت شعره، وأنالت شاعرنا من المكانة فى أدب

العرب ما لم ينله شاعر سواه.

### اختلاف الأدباء فى شعره

ليس شىء أدل على عظمة شاعرنا من اختلاف الأدباء والشعراء فى الحكم عليه، من حيث شعره الفنى، إذ لم نر شاعرا عربيا اختلف فيه جمهور المتأدبين كأبى الطيب، فهم فيه فريقان يختصمان، فريق يزرى بالمتنبي ويتبع سقطاته ويدل على سرقاته، وهم شائثوه وحساده، وفى مقدمة هذا الفريق صاحب بن عباد، - لأنه كان قد استزار المتنبي فلم يحفل به - وفريق أشاد بذكره مفضلا إياه على شعراء العربية كافة، وكان حامل لواء هذا الحزب أبا

العلاء المعرى فقد جمع الجيد من شعر المتنبي وسماه «معجز أحمد» وشرح ديوانه شرحا وافيا سماه اللامع العزيزى، ولما أتم تصنيفه قال كأنما نظر المتنبي إلى بلحظ الغيب إذ يقول:

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسمعت كلماته من به صمم

ونشأ من تطاحن الفريقين فريق ثالث، يذكر له حسناته، وينعى عليه سيئاته، فهو ككل شاعر عظيم، كثير الحسنات تفرط منه الهفوات، والكامل من عدت سقطاته، والسعيد من أحصيت هفواته:

هجوت زهيراً ثم إنى مدحته وما زالت الأملاك تهجى وتمدح

**فنه:**

كان المتنبي شاعراً فنياً عظيماً إذ تجلت فى شعره صورة كاملة للطبيعة بجمالها وجلالها كما تجلت فيه فلسفته فى الحياة، ومذهبه فى حقائقها وفروضها، ومثل هذا الشاعر يتندر أن يجود الزمان بمثله فى الدهور المتطاولة والأجيال المتباعدة:

هيئات أن يأتى الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

فهو يناجى نفسك من جميع نواحيها، فيطربك متغزلاً، ويعجبك واصفاً ويشجوك بل بيكيك راثياً، فتحلو لك نغمته فى جميع حالاته، وهو شاعر العظمة يلقاك بها أنى واجهته، يمثله فى الألفاظ إن لم يأنس بها فى المعانى، وإذا اجتمع الأمران كأن يصف حرباً مثلاً فهناك الإبداع كما قال عنه ابن الأثير، «إذا خاض فى وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالاً؛ وأشجع من أبطالها، وقامت أقواله للمسامع مقام أفعالها حتى يظن أن

الفريقين قد تقاتلا، والسلاحين قد تواصلا، وعلى الجملة فأنا نرى المتنبي قد ألف نوعاً فريداً فى الآداب العربية وبنى مجداً رفيعاً فى ميدان الشعر العربى درج عليه الشعراء بعده، ولكنهم لم يبلغوا شأوه.

### فنون شعره

اعتاد المتقدمون من أهل الأدب أن يقسموا الشعر بحسب الأغراض الباعثة للشاعر على قرضه فيذكروا أنواعه من مديح أو غزل أو هجاء، أو وصف أو فخر أو رثاء، ولما كانت هذه الأنواع لا تثبت على حال، وتزداد آناً بعد آن، ناسب أن نقسم الشعر حسب رأى المحدثين من الأدباء إلى فنون ثلاثة:

(١) شعره الصميم أو الوجدانى .

(٢) شعره الوصفى .

(٣) شعره الفلسفى أو الحكيمى .

### (١) شعره الوجدانى

هذا القسم أجدر أن يسمى وحي الخاطر أو الشعر الحساس، وهذا النوع لا يستطيع أحد ممن ضربوا فى هذا الفن بسهم أن ينكره على أبى الطيب، غير أنه ليس غالباً فى شعره بل أينما وجدته وجدت الصنعة والتفكير العقلى بارزين فيه، فلا تظهر فيه تلك الروعة المؤثرة فى العواطف ويعزى ذلك إلى أنه لم يصادف فى حياته حوادث توقظ فيه هذا الإحساس وتنمى عنده هذا الشعور، وقد اعترف بهذا الجمود على نفسه إذ يقول:

أصخرة أنا مالى لا تحركنى هذى الدمام ولا هذى الأغاريد

وأنى له ذلك وهو لا يتحرك للشراب ولا للغناء، ولا يكاد يعرف الحب ولا يحن إلى وطنه إذا نأى عنه، ولكنك إذا أردت أن تتبين شاعريته أثر غضبه ثم انظر إليه كيف يجيد القول، أحر عنه العطاء ثم اصغ لشكواه، عده الولاية ثم تغافل عنه قليلاً تره يتلهب غيظاً على الزمن، وأظهر أغراض الشعر التي يتمثل فيها الشعر الوجداني: الغزل والرتاء.

### شعره الغزلى

مما يستوقف نظرك إذا قرأت باب الغزل من شعر المتنبي أن ترى مواقفه غالباً مع نساء بدويات يظعن على العيس<sup>(١)</sup> يودعهن يوم الفراق، وترى هذه الحالات كلها أو بعضها فى شعره كقوله:

ولم أر كالألحاظ يوم رحيلهم      بعثن بكل القتل فى كل مشفق  
أدرن عيوننا حائرات كأنها      مركبة أحداقها فوق زئبق  
عشية يعدونا عن النظر البكا      وعن لذة التوديع خوف التفرق  
وقوله:

حشاشة<sup>(٢)</sup> نفس ودعت يوم ودعوا      فلم أدر أى الظاعنين أودع  
وقوله:

ليالى بعد الظاعنين شكول<sup>(٣)</sup>      طوال وليل العاشقين طويل  
بين لى البسدر الذى لا أريده      ويخفين بدرا ما إليه سبيل

(١) الإبل يخالط بياضها صفرة أو هى كرائم الإبل.

(٢) بقية الروح فى المريض.

(٣) جمع شكل وهو أبلغ فى الشكوى من أشكال الذى هو جمع قلة والمعنى أن لياليه متشابهة فى الطول.

وقوله:

ما أوجه الحضرة المستحسنات به كأوجه البدويات الرعايب<sup>(١)</sup>  
حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي الداوة حسن غير مجلوب

والذى يظهر لى من البيتين الأخيرين أن أبا الطيب لم يؤثر فى غريزته  
البدوية تحضره وارتياحه المدن، بل بقى شعره ينم على على فطرته الأولى، وما  
اكتسبه من البدو فى بدء حياته.

**شعره العفيف:** لم يعرف أبو الطيب باللهو والفسق، ولا بالمجون والعشق  
بل كان سىء الظن بالنساء مشغولا عنهن بجهاده فى الحياة لنيل مطامعه التى  
لا تقف عند حد، مشغولا بحوادث الدهر (على زعمه) التى لم تتركه يلبى  
نداء الحب إذا يوما دعاه، وقد أبرز هذا المعنى فقال:

لم يترك الدهر من قلبى ولا كبدى شيئاً تميمه عين ولا جيد

فهو لا يستنيم<sup>(٢)</sup> للذة، ولا يسلمها زمامه، ولا يعطيها من نفسه غير  
ساعة ثم يمضى فى شأنه ولذا يقول:

ولللخود<sup>(٣)</sup> متى ساعة ثم بيننا فلاة إلى غير اللقاء تجاب.

وكان يلوم الشعراء الذين يبدءون قصائدهم بالنسيب على ذلك الحب  
المتصنع فيقول:

إذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعراً متيم

(١) جمع رعبوية وهى المرأة الممتلئة البيضاء.

(٢) سكن واطمان.

(٣) الحسنة الخلق الشابة.

ومن قوله فى صدر النساء :

ومن خبر الغوانى<sup>(١)</sup> فالغوانى ضيياء فى بواطنه ظلام  
إذا غدرت حسناء وفت بعهدا فمن عهدا ألا يدوم لها عهد

لتلك الأسباب المتقدمة كان أبو الطيب مقلا فى هذا الباب على أن شعره الغزلى ليس ذا تأثير فى إحياء الوجدان، كأشعار من برح بهم لواعج العشق واستولى على قلوبهم الغرام، أمثال امرئ القيس وعمر بن أبى ربيعة وأبى نواس وغيرهم. إذ المعانى الغزلية إذا قصدها فارغ القلب من الحب لا تؤاتيه، ففاقد الشيء لا يعطيه، هذا والمتبع لشعر أبى الطيب الغزلى يراه دائراً بين حالات ثلاث، تارة تراه واعظاً للعشاق، واضعاً نفسه موضع الحكيم المرشد لهم، وأخرى تراه يصور أحوالهم، وما يعرض لهم من نحول وسقم، وذبول وسهر، وآونة يصف جمال النساء وما فى جسمهن من نعومة، وفى عيونهن من دعج وفى شعورهن من وفرة، إلى غير ذلك وقد أجاد فى هذا كله وأحسن قمن قوله يعظ العاشقين :

يا عاذل العاشقين دع فعة أضلها الله كيف ترشدها  
تذل لها واخضع على القرب والنوى فما عاشق من لا يذل ويخضع  
وقوله : وعدلت أهل العشق حتى ذفته فعجبت كيف يموت من لا يعشق  
وعذرتهم وعرفت ذنبى أننى غيرتهم فلقيت منه ما لقوا  
وقوله : للهوا آونة تمر كأنها قبل يزودها حبيب راحل

(١) المرأة التى غنيت بحسناها عن الزينة.

ومن قوله يصف نحول العاشقين وسقمهم:

ت لحال النحول دون العناق

حلت دون المزار فالأيوم لوزر

من السقم ما غيرت من خط كاتب

وقوله: ولو قلم ألقيت فى شق رأسه

لولا مخاطبتى إياك لم ترنى

وقوله: كفى بجسمى نحولا إننى رجل

لحما فينحله السقام ولا دما

وقوله: وخيال جسم لم يخل له الهوى

وقوله فى السهاد:

سى ثياب شققن على ناكل

كان الجفون على مقلت

عقدتم أعالى كل جفن بحاجب

وقوله: بعيدة ما بين الجفون كأثما

ومن قوله يصف جمال النساء:

فى ليلة فأرت لىالى أربعا

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها

فأرتنى القمرين فى وقت معا

واستقبلت قمر السما بوجهها

ولكن كى يصن به الجمالا

وقوله: لبسن الوشى لا متجملات

ولكن خفن فى الشعر الضلالا

وضفرن الغدائر لا لحسن

خمر يخامرها مسك تخاخره

وقوله: من كل أحور<sup>(١)</sup> فى أنياه شنب<sup>(٢)</sup>

حمر غفائره<sup>(٥)</sup> سود غدائره<sup>(٦)</sup>

نعج محاجره<sup>(٣)</sup> دمع<sup>(٤)</sup> نواظره

(١) الحور شدة بياض العين فى شدة سوادها.

(٢) صفار الأسنان وعذوبة رضاها وقيل حدثها.

(٣) النعج الاتساع والمحاجر جمع محجر كمجلس ما دار بالعين وبدأ من البرقع أى حجاج

العين. (٤) الدمع سواد العين مع سعتها.

(٥) جمع غفيرة وهى خرقة تكون تحت الخمار تحفظه من دهن لرأس وتكون وراء لكثرتها ما

يخالطها من الطيب والزعفران. (٦) صفائر الشعر.

أعارنى سقم<sup>(١)</sup> عينيه وحملنى  
من الهوى ثقل ما تحوى مآزره  
ويلاحظ أن غزل أبى الطيب تسرى فيه روح الكآبة والحزن ويذكر فيه  
الفراق والرحيل وشدة السقم والنحول آمال مقطوعة وآلام موصولة فهو  
مشوب برنة الأسى لا تطير به النفس فرحا كغزل أبى نواس وأضرابه وله  
بعض العذر فى ذلك إذ هو القائل «وما كنت ممن يدخل العشق قلبه».

### شعره الرثائى

اعتاد الشعراء فى مرثيهم التهويل بعظم المصاب وإظهار الفجيعة فيه  
والحسرة الممزوجة بالتلهف والأسى فيخيل إليك وأنت تقرأ شعرهم أو تصغى  
إليه أنك تنظر إلى أعينهم تفيض منها العبرات وإلى صدورهم تصعد منها  
الزفرات فهل يقع نظرك فى مرثي أبى الطيب على شعر من هذا النوع اللهم  
إلا أبياتا فذة تراها فى غضون مرثيه التى بلغت زهاء أربعمائة بيت رثى بها  
عشرة أشخاص منهم جدته لأمه التى ماتت شوقا إليه وجل مرثيه فى الوصف  
والحكم والسر فى ذلك أمران:

(١) أن شاعرنا ليس من طبعه الجزع الذى لا يتناسب مع صلابته  
ورجولته وجفاء طبعه.

(٢) أن مرثيه لم تكن منبعثة عن حزن فى نفسه أو خطب ألم به بل هو  
مدفوع إليها بطلب النوال، وحب المال، فهو كالنائحة تتباكى فيبكى غيرها.

إذا اشتهمت دموع فى حدود تبين من بكى ممن تابكى

وجملة القول أنك إذا تصفحت شعره فى هذا الباب تقع منه على شعر

(١) سقم العين فتورها.

وصفى وآخر فلسفى وترى الأبيات النادرة من الشعر الوجدانى بين بين انظر  
إلى قصيدته فى رثاء محمد إسحق التنوخى التى منها:

ما كنت أحسب قبل دفنك فى الثرى أن الكواكب فى التراب تمور

تره يمثل جلال المرثى ومكانته فى قومه وهيئة جنازته مما ينشرح له  
صدرك فتمنى لو تنال بعض ما ناله كما فعل ذلك عضد الدولة الذى ظفر  
بالوزير أبى طاهر محمد بن بقية فقتله وصلبه ولما رثاه أبو الحسن محمد بن  
عمران الأنبارى بقصيدته التى مطلعها:

علو فى الحياة وفى الممات لحق تلك إحدى المعجزات

قال وددت لو أنى المصلوب وتكون هذه القصيدة فى . تعال معى ننظر  
إلى مرثية بملك عبد سيف الدولة التى منها:

وقد فارق الناس الأحبة قبلنا واعيأ دواء الموت كل طبيب  
سبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها منعنا بها من جيئة وذهب  
تملكها الآتى تملك سالب وفاقرها الماضى فراق سلب

ألا ترانا ننسى الميت حينما تستهوى أفئدتنا تلك الدرر التى نظمها فى  
فلسفة الموت وتصوير الحياة فهل نقيس العظام النخرة بتلك الدرر التى بقيت  
على وجه الدهر سائرة (أيقاس ما يفنى بما لا ينفد) ثم انتقل إلى مرثيته فى  
أخت سيف الدولة تره وقد بث شكوى الشيخوخة والضعف إذ يقول:

وإذا الشيخ قال أف فما مل ل حياة ولكن الضعف ملا  
آلة العيش صحة وشباب فإذا هما وليا عن المرء ولى

ثم أقرأ قصيدته التي عزى بها عضد الدولة بعمته، تقف منها على فلسفته في الموت وإن كل امرئ لابد وارد حياضه وكيف نبخل بأرواحنا على زمان هن من كسبه إلى غير ذلك؛ مما سيجيء عند الكلام على شعره الفلسفي إذ يقول:

لا تقلب المضجع عن جنبه      لا بد للإنسان من ضجعة  
وما أذاق الموت من كربه      ينسى بها ما كان من عجبه  
نعاف ما لا بد من شربه      نحن بنو الموتى فما بالنا  
وهذه الأجسام من تربة      فهذه الأرواح من جوه  
موته جالنيوس في طبه      يموت راعي الضأن في جهله

أما مراثيه التي صدرت عن حزن في النفس، ورقة في الحس، فهي مرثيته في أخت سيف الدولة الكبرى التي يقول فيها:

غدرت يا موت كم أفنيت من عدد      بمن أصبت وكم أسكت من لجب  
قد كان كل حجاب دون رؤيتها      فما قنعت لها يا أرض بالحجب  
ولا رأيت عيون الأئس تدركها      فهل حسدت عليها أعين الشهب

ومن قوله في رثاء أبي شجاع فاتك:

يا من يبدل كل يوم حلة      أنى رضيت بحلة لا تنزع  
ما زلت تخلعها على من شاءها      حتى لبست اليوم مالا تخلع

## (٢) شعره الوصفى

نما لا مرأى فيه أن باب الوصف من أكبر فنون الشعر وأوسع مناحيه، فهو ينتظم وصف مناظر الطبيعة من الحدائق الناضرة، والمياه المتدفقة، والجبال الشامخة، والسماء وكواكبها وبروقها وسحائبها، وطلها ووبلها كما يحتوى وصف أنواع الحيوان كالإبل وسيرها، والخيل وشياتها، وأوابد الوحش، وجوارح الطير، إلى غير ذلك. وقد امتاز كل شاعر بنوع خاص من الوصف. واحد أو أكثر تبعاً لبيئته وميول نفسه، والحوادث التي أثرت في شعوره وحسه، أما شاعرنا فقد امتاز بغزارة مادته في وصف كثير من مشاهداته، فوصف المعارك وآلات القتال كما وصف الخيل والجمال والأسد والغزال، وأبداع في وصف بحيرة طبرية وشعب بوان، وإذ كان المتنبى لبث طيلة عمره نضو أسفار يجوب الفيافي والقفار، فلا غرو أن يألف القضاء الذى هو أوسع من مسارح الظنون ويصف الفلاة ويستروح بهجيرها. فيقول:

ذرانى والفلاة بلا دليل      ووجهى والهجير بلا لثام  
فإنى أستريح بذى وهذا      وأتعب بالإناخة والمقام

ومن قوله يمدح عضد الدولة ويصف شعب بوان فى طريقه إلى شيراز وهو موضع كثير الشجر والمياه يعد من أعظم جنات الدنيا:

مغانى<sup>(١)</sup> الشعب طيباً فى المغانى      بمنزلة الربيع<sup>(٢)</sup> من الزمان  
ومنها: لها ثمر تشير إليك منها      بأشربة وقفن بلا أوان<sup>(٣)</sup>

(١) جمع مغنى وهو المنزل الأهل.

(٢) الربيع الزمان الطيب.

(٣) جمع آية وهى الأوعية.

وأمواه يصل<sup>(١)</sup> بها حصاها صليل الحلى فى أيدى الغوانى  
وستمر بك هذه القصيدة فى نماذج الشعر.

وقال يصف بحيرة طبرية بالشام من قصيدة يمدح بها على بن إبراهيم  
التنوخى:

لولاك لم أترك البحيرة والغو ر دفاء ومأواها شـبـم  
والطير فوق الحباب<sup>(٢)</sup> تحسبها فرسان بلىق<sup>(٣)</sup> تخونها اللجم  
تغنت الطير فى جوانبها وجادت الأرض حولها الديم<sup>(٤)</sup>  
وستقف بك على دراسة تحليلية لهذه الميمية.

وقوله يصف السيوف: لهن وهامات<sup>(٥)</sup> الرجال مغارب  
خلقن شموسا والغمود مشارق  
ومن قوله يصف الرماح: إذا وقعت فيه كنسج الخدرتق<sup>(٦)</sup>.  
قواض مواض نسج داود عندها وتفرى إليهم كل سور وخذق  
تقد عليهم كل درع وجوشن  
وقوله يصف حركات الجيش مادحا سيف الدولة فى قتال الروم:

(١) يصوت.

(٢) حباب الماء معظمه وقيل نفاخاته التى تعلوه.

(٣) فرس أبلق فى لونه سواد وبياض.

(٤) جمع ديمة وهى المطر ليس فيه برق ولا رعد.

(٥) جمع هامة وهى الرأس.

(٦) العنكبوت.

ضممت جناحيهم إلى القلب ضمة تموت الخوافى (١) دونها والقوادم (٢)

وقوله يمدح أيضاً بطلبه بنى كلاب وانتصاره عليهم:

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب (٣)

وقوله يصف مهرة وقد نسب إليه الخدق والتميز. مما لم يتوافر في كثير

من بنى الإنسان:

يميز الهزل من الحقائق وينذر الركب بكل سارق

وقال يصف فرسه بالنشاط والمرح:

شقت به الظلماء أدنى عنانه فيطنى وأرخبه مرارا فيلعب

ووقع بصره على غزال يرعى فوصفه بما تغبطه عليه الغايات فقال:

أغناه حسن الجيد عن لبس الحلبي وعادة العري عن التفضل (٤)

كأنه مضمخ (٥) إلى ياقوخه معترضاً بمثل قرن الأيل (٦)

وقد وصف السد وصفا إذا قرأته خيل إليك أن الأسد أمام ناظريك،

فقال:

في وحدة الرهبان إلا أنه لا يعرف التحريم والتحليلا

يطأ الثرى مترفقا من يتفه فكأنه آس (٧) يجس عليلا

(١) الخوافى أربع ريشات من جناح الطائر تختفى إذا ضم الطائر جناحيه.

(٢) أربع أخرى في أول جناح الطائر. (٣) طائر معروفة.

(٤) التفضل أن تلبس المرأة ثوباً واحداً تنام فيه. (٥) ملطخ بالطيب.

(٦) الأيل بضم الهمزة وكسرهما وتشديد الياء مفتوحة الجدى الجلبى والجمع أيائل.

(٧) طيب.

ويرد غفرته<sup>(١)</sup> إلى يافوخه حتى تصير لرأسه إكليلا

وقد وصف كلب صيد وصفا طقيقا يدل على بعد غوره وصدق نظره

في الوصف فقال:

يعدو إذا أحزن<sup>(٢)</sup> عدو المسهل إذا تلا جاء المدى<sup>(٣)</sup> وقد تلى

يكاد في الوثب من التفتل<sup>(٤)</sup> يجمع بين متنه والكلكل<sup>(٥)</sup>

كأنه من علمه بالمقتل علم<sup>(٦)</sup> بقراط فصاد الأكل<sup>(٧)</sup>

وإنا إذا استقصينا شعره الوصفى واستعرضنا معانيه في كل ضروبه.

حكمتنا عدلا بأنه أعظم الشعراء الوصافين الممتازين. وبخاصة في وصف

المعارك وآلات القتال على أنه لم يقصر في وصف الناس وأخلاقهم وعاداتهم

وما يجول في خواطرهم، كأنه يقرأ ما في سرائرهم، ألم تر كيف وصف

سيف الدولة فأبرزه في صورة قائد مظفر، وملك جبار الناس عبيده،

والأموال غنائمه، والدهر دونه، فيقول فيه:

على عاتق الملك الأغر نجاهه<sup>(٨)</sup> وفي كف جبار السموات قائمه<sup>(٩)</sup>

تحاربه الأعداء وهي عبيده وتدخر الأموال وهي غنائمه

ويستكبرون الدهر والدهر دونه ويستعظمون الموت والموت خادمه

(١) شعره المجتمع على قفاه. (٢) الحزن ضد السهل.

(٣) الغاية. (٤) الانفتال والهرب.

(٥) الصدر. (٦) طيب قديم يضرب به المثل.

(٧) عرق في الذراع يفصد. (٨) حمائل سيفه.

(٩) قائم السيف قبضته التي تكون في يد الضارب.

## دراسة تحليلية

### لوصفي المتنبي والبحترى بحيرتى طبرية والمتوكلية

وصف المتنبي بحيرة طبرية بالشام فبدأ الوصف بقوله أنه لولا ممدوحه لما ترك البحيرة مع برودة مائها وقصد الغور على شدة حره ودفع مائه وكأنه لم يرقه من البحيرة إلا ذاك.

لولاك لم أترك البحيرة والغور ردفء وماؤها شيم

ثم شبه تلاطم أمواجها بالفحول المزبدة وإسفاف الطير فوق مياهها بالفرسان المتلاحقة، كما شبه اصطفاق<sup>(١)</sup> أمواجها النائرة بجيشين حمى وطيس الحرب بينهما، أحدهما هازم والآخر منهزم:

والموج مثل الفحول مزبدة تهلر<sup>(٢)</sup> فيها وما بها قطم<sup>(٣)</sup>

والطير فوق الحباب تحسبها فرسان بلق تخونها اللجم

كأنها والرياح تضربها جيشا وغى هازم ومنهزم

ثم شبهها أيضاً فى ضحوة النهار بقمر حوله ظلمة المروج والأشجار:

كأنها فى نهارها قمر حف به من جناتها ظلم

وعد من محاسنها تغريد الأطيّار فى رياضها، وهطل الأمطار على ما

حولها من مروج وأشجار وكزنه اعتراف منه بقلّة مائها، وعدم كفايته لسقى ما

حولها من جنات وأعنان.

(١) اصطفتت الأمواج اهتزت بالريح.

(٢) هدر البعير هاج وأخرج الزبد من فيه.

(٣) بفتح القاف والطاء شهوة الضراب.

تغنت الطير فى جوانبها وجات الأرض حلها الديق

ثم عاد فشبه صفاء مائها، وعذب غيرها، بمرآة مجلوة كشف عنها  
غطاؤها:

فهى كماوية مطوقة جرد عنها غشاؤها الأدم

وختم وصفها بأن عاب جريانها فى بلد يقطنه قوم لثام أدياء فقال:

يشينها جريها على بلد يشينه الأدياء والقزم

### البحترى والمتوكلية

أما البحترى فقد راقه من المتوكلية حسن مرآها وحولها الآنسات يشرفن  
عليها من قصورهن فقال:

يا من رأى البركة الحسنة رؤيتها والآنسات إذا لاحت مغانيها

ونظر إلى ما فيها من إبداع فى التصوير، إتقان فى الصنعة، فنسبها إلى  
جن سليمان الذين كانوا يعملون له ما يشاء من محاريب وتمائيل وجفان، مما  
تعجز عنه يد الإنسان.

كأنه جن سليمان الذين ولوا إبداعها فأدقوا فى معانيها

كما شبه مجارى المياه التى تنصب فيها بالوفود المتلاحقة والختيل المتسابقة  
وذلك يدل على غزارة مائها، وكثرة فيضانها.

تنصب فيها وفود الماء معجلة كالختيل خارجة من جبل مجريها

وما أبدع تمثيله نسج الرياح على صفحة مائها بالدروع المقدره السرد،  
المصقولة الحواشى.

إذا علتها الصبا أبدت لها حبيكا مثل الجواشن مصقولا حواشيها

كما أبدع فى تشبيه صفاء مياهها الجارية فى القنوات التى تنصرف منها إلى ما يحيط بها من البساتين الفيحاء؛ والحدائق الغناء، بالفضة السائلة تجرى فى سبائكها:

كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجرى فى مجاريها ومثلها حين تترأى النجوم ليلا فى جوانبها بالسماء التى سطعت كواكبها ولمعت ثواقبها.

إذا النجوم تراءت فى جوانبها ليلا حسبت سماء ركبت فيها ثم مدحها بسعتها وثرائها بالسلك الشهى واللحم الطرى. لا يبلغ السمك المحصور غايتها لبعدها ما بين قاصيها ودانيها وزادها رفعة، ورفعها منزلة، حين شبهها وهى متدفقة الماء، بيد الخليفة المتوكل عند العطاء، وهذا من نوع التشبيه المقلوب.

كأنها حين لجت فى تدفقها يد الخليفة لما سال وادبها

فستان ما بين الشعرين، فكلاهما استمد أخيلته وتصوراته، مما رآه وأحاط به من المشاهدات والمعقولات فكان ذلك أثراً من آثار البيئة التى عاش فيها، فكلا الشاعرين أعمل فكره وجاد بما عنده:

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب فى الماء جذوة<sup>(١)</sup> نار

(١) جمرة.

### (٣) شعره الفلسفى .

ربما يستوقف نظر القارئ هذا العنوان بادئ ذى بدئ، إذ أن الفلسفة تصدر عن التعقل والفكر والشعر يصدر عن الخيال والعاطفة، فهما كالتقيضين. وفى الحق أن الفكر والخيال والعاطفة كلها ضرورية للفلسفة والشعر، غير أن نصيب الفيلسوف من الخيال قليل. كنصيب الشاعر من الفكر، ويبعد أن تعطل وظيفة الفكر فى نفس شاعر عظيم كأبى الطيب، بل المعهود أن شعراء الأمم الفحول كانوا طلائع النهضة الفكرية فى كل عصر نبغوا فيه، على أنك إذا أمعنت النظر فى سبب الشهرة التى حازها الشعراء فى هذه الطبقة، كبشار وأبى نواس وابن الرومى، وأبى تمام والمتنبى والمعرى، علمت أنهم بذوا غيرهم من الشعراء، بتوفرهم على فنون القول المتشعبة، وطرقهم أبوا المعانى المتنوعة، فكانوا أجمع من غيرهم للملكات الشعر والفلسفة، وأقدر على النظر فيما حولهم ممن نظروا فى ناحية واحدة، فحسرت<sup>(١)</sup> أبصارهم عن غيرها فداروا فيها طول عمرهم، وأبو الطيب على وجه خاص أولى من عامة شعرائنا (ما عدا المعرى) بالنصيب الأوفر فى عالم المذاهب والآراء، لأن الحقائق لا تكاد تستقر فى نفسه، حتى يكسوها ثيابا من نسجه ويغلب أن يوردها بعد ذلك مقرونة بأسبابها، لا فرق بينها وبين أسلوب الفلاسفة فى التذليل والبرهان، وإذا ساغ لنا أن نسمى أبا الطيب فيلسوفا فإن فلسفته عملية إذ أنه زوى<sup>(٢)</sup> وجهه عن مباحث ما وراء الطبيعة ونأى عن الخوض فى هذه المناهات التى ليس وراء البحث فيها طائل. وأكب على درس الحياة فأبدى مذاهبه وآراءه فيها صريحة قريبة المنال، لا غموض فيها وإيهام، ويمكننا تلخيصها فى كلمات وجيزة. وهى:

(٢) نحاه وصرفه.

(١) كلت.

«إن الحياة حرب ضرورس<sup>(١)</sup>، علاقة الإنسان فيها بالإنسان، علاقة المقاتل بالمقاتل<sup>(٢)</sup>، فهو يركب سنانا من صنعه في كل قناة ينبتها الزمان<sup>(٣)</sup>، وما المودة فيها إلا حيلة من حيل الحرب، أو هدنة في حومة القتال، فاحذر الناس واستر الحذر منهم<sup>(٤)</sup>، وإياك أن تشكو إلى أحد، أو تغرك دمعة باك أو بشاشة مبتسم، إنك إن تشك إليهم بلواك تكن كالجريح الذي يشكو ألمه إلى الرحم والعقبان<sup>(٥)</sup>، وإن الذي يبكي بين يديك حين تظفر به، لن يرحمك غدا حين يظفر بك<sup>(٦)</sup>، والذي يتسم لك ويبدى لك المودة إنما يدارى الضعف والكيد ثم هو إذ تمكن من مقاتلك لن يرثى لضعفك، ولن يقيل عثرتك<sup>(٧)</sup>، واعلم أنك تنال بالخوف في الدنيا ما لا تنال بالود، وإن من أطاق التماس شيء من أشياء غالبا واغتصابا لم يلتمسه سؤالا<sup>(٨)</sup>».

مستنبط من هذه الدرر المنتورة، التي عقدها المنتبى في شعره، إنه كان كئيب المزاج، ومرجع هذا طبعه، وأنه كان من المشائمين الذين يسيئون الظن بكل أحد، ومصدر هذا رأيه، وتجاربه، وبما ركب في طبعه من الكآبة والتطير، حكم على الناس والأيام، ورسم لنفسه خطة يسير عليها في الحياة

(١) الضرورس أصله الناقة السيئة الخلق التي تعض حالبها وتوصف بها الحرب مجازاً.

(٢) إنما أنفس الأتيس سباع يتفارسن جهرة واغتبالا.

(٣) كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا.

(٤) وكن على حذر للناس تستره ولا يغرنك منهم ثغر مبتسم.

(٥) لا تشكون إلى خلق فشمته شكوى الجريح إلى العقبان والرحم.

(٦) فليس بمرحوم إذا ظفروا به ولا في الردى الجارى عليهم بأثم.

(٧) لا يخدعنك من عدوك دمعة وارحم شبابك من عدو ترحم.

(٨) من أطلق التماس شيء غالبا واغتصابا لم يلتمسه سؤالا.

وقد أبان محجته وأوضح نهجه فى شعره الذى يشكو فيه الزمان وأهله، ويذم الدنيا فمن قوله فيها:

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها أنى بما أنا باك منه محسود

وقوله فى تحمل مصائب الدهر:

وأنا لنلقى الحادثات بأنفس كثير الرزايا عندهن قليل

تهون علينا أن تصاب جسمنا وتسلم أعراض لنا وعقول

وقوله فى الحض على عزة النفس:

عشر عزيزا أو مت وأنت كريم بين طعن القتا وخفق<sup>(١)</sup> البنود<sup>(٢)</sup>

فاطلب العز فى لظى ودع الذل ولو كان فى جنان الخلود

### فلسفته الخلقية

أبان شاعرنا أنه لا يكره اللذة والسرور، فهو يشهيهما، ويحض عليهما

فيقول:

أنعم ولد فللأمور أواخر أبدا إذا كانت لهن أوائل

غير أنه يطلبهما بشرط ألا يعرضاه للذل، ولا يصماه بالدنس، وقد

أملاه علينا بقوله:

ولا أقيم على مال ألد به ولا ألد ما عرضى به درن<sup>(٣)</sup>

بل هو لا يستطيع اللذة التى لا تصحبها الكرامة ولا يجد معها التبجيل

فيقول:

(١) اضطراب. (٢) جمع بند وهو العلم. (٣) أى وسخ قدر.

وما منزل اللذات عندى منزل إذا لم أبجل عنده وأكرم

رأيه فى المال: يرى المتنبى أن طلب المال واجب كتدبيره، بيد أنه إنما يطلبه لأنه وسيلة المجد وسبيل إليه، فيقول:

فلا مجد فى الدنيا لمن قال ماله ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

رأيه فى العلم: إن شاعرنا ليطرى المعرفة ويرفع الحكمة فيقول فى بيت

واحد:

أعز مكان فى الدنيا<sup>(١)</sup> سرج<sup>(٢)</sup> سابع وخير جليس فى الزمان كتاب

غير أنه لا يجعل العلم والحكمة غاية منشودة، بل يجعلهما ذريعة إلى غايته من العز والسيادة، فإذا قرأت قوله:

«الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول ولها المحل الثانى»

حسبته يقدم الرأى على الشجاعة عرفانا بقيمة الرأى، فإذا وقفت على البيت الثانى:

فإذا هما اجتماعا لنفس مرة<sup>(٣)</sup> بلغت من العلياء كل مكان

علمت أنه يرغب فى اجتماعهما ليلبغ بهما العلياء التى هى الغاية القصوى، وخلاصة رأيه فى المفاضلة بين السيف والقلم بينها فى بيتيه الآتين: حتى رجعت وأقلامى قوائلى للمجد للسيف ليس المجد للقلم أكتب بنا أبداً بعد الكتاب به فنحن فى دولة الأسياف كالخدم

(١) جمع دنيا.

(٢) فرس وسميت بذلك لسبحها بيديها فى سبرها.

(٣) شديدة.

وجماع الرأى فى فلسفة أبى الطيب أنه لم يكن فيلسوفا نظرياً كابن سينا، ولا خلقيا كابن حزم، ولا مؤدبا صوفيا كالغزالي، فمن خطل الرأى أن نقيسه بهم، فإن فلسفتهم تسمو على متناول الشعراء، «وما ينبغى لهم وما يستطيعون» بل غاية ما يقال عنه، أنه مفكر له آراء فى الحياة ومظاهرها، لا نجزم بأنها له أو أخذها عن غيره، وهى حافلة مستفيضة. تناول فيها أبحاثه خلقية واجتماعية وأجاد تصويرها وتقريبها للأذهان، على كل حال إذا أغضبنا الطرف عن بعض آرائه التى غلا فى الحكم فيها على الدهر، وأظهر عدم رضائه بالقدر وقفنا بعد ذلك منه على آراء وفق ما يراه جمهور الناس فى كافة الأمم فى جميع العصور ألم يقل العباس بن الأحنف:

أسأت إذ أحسنت ظنى بكم والحزم سوء الظن بالناس

ولكن آراءه لا تروق لبعض الخياليين الذى يعيشون فى واد من الأوهام، ويسرهم القول بأن الحياة عدل ونعيم، والإنسان فيها ملاك كريم.

### أفاظه وأساليبه ومميزاته

لقد سما أبو الطيب إلى درجة ممتازة فى رصانة القول وتنوع ساليبه ودقة معانيه، ورائع تصوراته، وبديع أخيلته، و كان دون غيره فى صقل العبارات، وتوشية الكلمات، ومراعاة المحسنات، إذ ليس ذلك من فنه، ولا هو من المبرزين فيه رغم شيوعه فى عصره، على أن شعره على وجه عام لا يخلو من مميزات عصره من حسن الذوق، وعذوبة اللفظ، ودقة المعنى، إذ الشاعر مهما قويت عنده ملكة الاستقلال وبرزت شخصيته. لا يتسطيع الخروج عن مألوف أهل الأدب فى زمانه، ولكنه استطاع أن يخرج عليهم فى إبرازه معانيه الشريفة، وأفكاره الدقيقة، فى أى لفظ كان، وعلى أى أسلوب تهيأ له ولو

لم يجز على مشهور القياس أو ينطبق على وجوه البلاغة فعل ذلك وثوقا  
بنفسه لاطلاعه على أسرار اللغة وحفظه الكثير من غريبها كقوله:

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمة بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمة

المعنى: «وفاؤكما يا صاحبي بإسعادى على البكاء كهذا الربع، ثم بين  
وجه الشبه فقال: أشجى الربع دارسه وأشفى الدمع ساجمه<sup>(١)</sup>».

وقوله:

أنى يكون أبا البرايا<sup>(٢)</sup> آدم وأبوك والثقلان<sup>(٣)</sup> أنت محمد

المعنى: «كيف يكون آدم أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان».

هذا إلى كثير من أمثاله، مما ركب فيه الصعب، وظهر فيه التقيد اللفظي  
والمعنوي، وكان أبو الطيب كثير الافتنان فى الأساليب فيورد المعنى المتبدل فى  
ثوب قشيب وأسلوب جيد السبك، حتى يصير كالحسناء تعجب النظارة وربما  
أتبعه بما يوضح غامضه من تذييل بمثل أو حكمة، حتى يسوغ لك فى كثير من  
المواطن أن تضع أداة استفهام بين شطرى البيت للدلالة على أن الثانى جواب  
عن سؤال نشأ من الأول. وهذا ما يسميه علماء المعانى بشبه كمال الاتصال  
كقوله:

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

وقوله:

(١) متهملة.

(٢) جمع البرية أى الخلق.

(٣) الإنس والجن.

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال

وقوله:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

وما أشبه هذا الأسلوب بطريقة البحث التي ابتكرها سقراط فيلسوف اليونان وواضع علم الأخلاق، وسميت طريقة التوليد فقد كان يتحدث إلى تلاميذه فيسأل ثم يجيب ولا يزال في حوار مع تلاميذه حتى يصل إلى النتيجة التي يريد، إذ كان يعتقد أن النفس مشتملة على الحقائق كما تشمل الأم على الجنين وأن عمل الفيلسوف هو استخراج الحقائق من النفس كما أن عمل القابلة هو استخراج الجنين من الأم.

وهذه الطريقة هي التي ارتضاها علماء التربية، فلا غرو إذا سمينا سقراط بالأستاذ الأول. وكثيراً ما كان المتنبى يقصد إلى الأسلوب التعليمي في شعره، فيورد المعنى الواحد في أساليب مختلفة ليثبت في الأذهان، ويسهل على اللسان فيجري على ألسنة الناس بصور مختلفة وأساليب عدة كقوله:

من اقتضى بسوى الهندي<sup>(١)</sup> حاجته أجاب كل سؤال عن هل بلم

مع قوله:

من أطاق التماس شيء غلاباً<sup>(٢)</sup> واقتساراً لم يلمسه سؤالاً

مع قوله:

---

(١) السيف.

(٢) غلاباً وإقتار أى غلبة وقهراً.

وما الحسن في وجه لفتى شرفاله ولكنه في فعله والخلاق

مع قوله:

إذا لم تشاهد غير حسن شيلتها<sup>(١)</sup> وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وكقوله في المدح بالجود والشجاعة:

مع قوله:

كأنك في الإعطاء للمال مبغض وفي كل حرب للمنية عاشق

وقد نهج أبو الطيب في شعره أحيانا نهج الواعظ المرشد، يأمر وينهى، ويسرد الحكم، ويضرب الأمثال، وهذا ما يسميه أدباء الغرب بلهجة «الأستاذية» وقد حداه إلى ذلك غروره بنفسه، ولا سيما إذا كان يخاطب أميراً أو عظيماً كقوله يخاطب كافوراً:

فلا ينحلل في المجد مالك كله فينحل مجد كان بالمال عقده

ودبره تدبير الذي المجد كفه إذا حارب الأعداء والمال زنده<sup>(٢)</sup>

كان المتنبي أحيانا يذكر أشياء متفرقة ثم يتبعها بحكم عام من مثل أو

حكمة وهذا يشبه ما يسميه علماء البديع بالجمع كقوله:

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

أريد من زمني ذا أن يبلغني ما ليس يبلغه في نفسه الزمن

وكقوله:

(١) جمع شية السمة والعلامة.

(٢) الزند موصل سرف الدراع في الكف.

وجدت الملامة غلابة      تهيج من القلب أشواقه  
تسيء من المرء تأديبه      ولكن تحسن أخلاقه  
وأففس ما للفتى لبه      وذو اللب يكره إنفاقه

والمستقصى شعر المتنبي يرى فيه أسلوبا خطايا أي أسلوب الخطباء الذين يقصدون إلى الفخر تارة وإلى التهديد والوعيد أخرى، ويختارون له الألفاظ السهلة، والأساليب المكررة، ليفطن له السامع وقد تأثر به شعراء الجاهليين كعمرو بن كلثوم في معلقته والحرث بن عباد في قصيدته إذ يقول الأول في معلقته يفتخر بقومه:

وقد علم القبائل من معد      إذا قسب بأبطحها بنينا  
بأنا المطعمون إذا قدرنا      وأنا المهلكون إذا ابتلينا  
وإنا المانعون لما أردنا      وإنا النازلون بحيث شينا

ويقول الحرث بن عباد في قصيدته التي حض فيها بكرة على الأخذ بثار ابنه بجير من مهلهل التغلبي:

قربا مربط النعام<sup>(١)</sup> منى      أن بيع الكريم بالشسع<sup>(٢)</sup> غال  
قربا مربط النعام منى      لفتح<sup>(٣)</sup> حرب وائل عن حيال<sup>(٤)</sup>  
لم أكن من جناتها علم الد      ه وإنى بشرها اليوم صال

(١) اسم فرس الحرث من عباد.

(٢) سير يشد به النعل.

(٣) لفتح الناقة حملت وقبلت لقاح الفحل.

(٤) العقم وعدم الحمل.

ففسج على منوالهما المتنبي فقال:

أنا ابن اللقاء أنا ابن السخاء أنا ابن الضراب أنا ابن الطعان

أنا ابن الفيافي أنا ابن القوافي أنا ابن السروج أنا ابن الرعان<sup>(١)</sup>

طويل النجاد طويل العماد طويل القناة طويل السنان

وقد يبهرك المتنبي حينما تقرأ شعره الذى تمثلت فيه العواطف المختلفة، من تعجب واستفهام، وتحسر واستهجان، وفرح وترح، مما يظهر عادة على مسارح التمثيل فتأثر به ألوان الوجوه التى هى مرآة ترتسم عليها الانفعالات النفسانية. ويحدث ذلك من تكرار النداء أو الاستفهام أو التعجب كقوله:

عيد بأى حال عدت يا عيد بما مضى أو لأمر فيك تجديد

وكقوله فى التغزل:

أريقك أم ماء الغمامة أم خمر بفى برود وهو فى كبدي جمر

إذا الغصن أم ذا الدعص<sup>(٢)</sup> أم أنت فتنة وذيا الذى قبلته البرق أم ثغر

وهذا الأسلوب يجدر أن يسمى الأسلوب التمثيلي، لا بمعنى التمثيل المعروف بل بمعنى أخص منه لأن من ينشد هذه الأبيات ونحوها يمثل معانيها فى حركاته وإشاراته ولون وجهه وجرس نغمه.

(١) جمع رعن أنف الجبل.

(٢) كثيب الرمل المجتمع.

## معانيه وأخيلته

قصد المتنبي إلى المعانى التى تعتلج فى صدور الناس وتعبر عن آمالهم وآلامهم فأبرزها فى عبارات جيدة السبك وفى أسلوب يشعر بالعظمة تارة وينم عن الرقة وسلامة الذوق أخرى فظهرت المعانى فى صور رائعة وأساليب طريفة فارتسمت فى الصدور وحركت كامن الشعور وجرت على السنة الخاصة والعامة ورددتها لسان الكون حتى عمت المشرقين وطبقت الخافقين وكأن هذه المعانى كانت مواتا فأحيها فأقر الناس بأنها له نزولا على حكم الشرع «من أحيأ أرضاً ميتة فهى له».

### الشعر التمثيلى والقصى:

لم يقتبس شعراء العرب من أدب اليونان فيحاكوا شعرهم التمثيلى والقصى كما اقتبسوا من حكمتهم وفلسفتهم ولعل السر فى ذلك أمران:  
الأول: إن العرب لم ينقلوا شعر اليونان كما نقلوا علومهم وفلسفتهم.  
الثانى: محافظة العرب على أسلوب شعرهم القديم إذ كان ولا يزال أكبر مميزاتهم وعنوان خصائصهم.

## المتنبى وحكم أرسطو

أسبقنا الكلام على فلسفة المتنبى وأثبتنا له آراء خاصة فى الحياة أودعها أبياته الحكيمة وشعره الواعظ ووافق فيها أرسطو ولست أدرى ولا المنجم يدري أنعد ذلك من توافق الخواطر بينهما وهو اتفاق عجيب لم نعهد مثله بين نابغين مفكرين ينتمى كل منهما إلى أمة وعصر وحضارة تباين كل المباينة ما ينتمى إليه الآخر من ذلك أم نقول أن أبا الطيب الذى عاش فى القرن الرابع الهجرى درس فلسفة أرسطو الذى عاش فى القرن الرابع قبل المسيح وعدها تراث الحكماء وعقدتها فى شعره ويعزز هذا الرأى أن شاعرنا وجد فى عصر شغل فيه العلماء بترجمة علوم اليونان من طب ومنطق وهيئة وهندسة وحكمة وفلسفة فليس بغريب أن يكون المتنبى وقف على آراء أرسطو وفلسفته فى الحياة ونظمها فرائد فى شعره.

غير أنه لا يمكننا الجزم فى كلا الاحتمالين برأى قاطع وعلى كلتا الحاليتين فالمتنبى بالغ غاية الفضل ونهاية النبل فإن آراءه إن كانت نتيجة بحث ودرس فقد تعمق فيه تعمق الفلاسفة وإن كان قد نقلها عن أرسطو فقد زاد عليه الإيجاز والبلاغة والنظم وأضاف ثروة جديدة إلى لغته مما يشهد له بفضل علمه وغزارة أدبه وإنا لذاكرون طائفة من موافقات المتنبى وأرسطو أو قل من حكم أرسطو التى نقلها المتنبى لتكون قيد الخواطر وشرك النواظر.

أرسطو: إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة.

المتنبى: وإذا كانت النفوس كباراً تعبت فى مرادها الأجسام

أرسطو: من استمرت عليه الحوادث لم يألم بحلولها.

المتنبى : إذا اعتاد الفتى خوض المنايا فأهون ما يمر به الوحول

أرسطو: تعلقب أيام الزمان مفسدة لأحوال الحيوان .

المتنبى : فما ترجى النفوس من زمن أحمد حاله غير محمود

أرسطو: الألفاظ المنطقية مضره بذوى الجهل لنبو إحساسهم عن دركها .

المتنبى : بذى الغباوة من إنشادها ضرر كما تضر رباح الورد بالجعل

أرسطو: تردد حركات الفلك يحيل الكائنات عن حقائقها .

المتنبى : ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت على عينه حتى يرى صدقها كذبا

أرسطو: قد يفسد العضو لصلاح أعضاء كالكى والفصد للذين يفسدان

الأعضاء لصلاحها .

المتنبى : لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأجسام بالعلل

أرسطو: لسنا نمنع عن الائتلاف بالأرواح وإنما نمنع عن اجتماع الأجسام

فإن ذلك من طبائع البهائم .

المتنبى : وما كل من يهوى يعف إذا خلا

عفانى ويرضى الحب والخيل تلتقى

أرسطو: الدنيا تطعم أولادها وتأكل مولودها .

المتنبى : أبدا تسترد ما تهب الدنـ يا فليت جودها كان بخلا

أرسطو: النظر إلى ما يكره الإنسان يسقم القلب .

المتنبى : واحتمال الأذى ورؤية جانيه غداء تضوى به الأجسام

أرسطو: الجبن ذلة كامنة فى نفس الجبان فإذا خلا أظهر الشجاعة .  
المتنبى: وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الحرب وحده والنزالا  
أرسطو: من أفنى مدته فى جمع المال خوف العدم فقد أسلم نفسه  
للعدم .

المتنبى: ومن ينفق الساعات فى جمع ماله مخافة فقر فالذى فع الفقر  
أرسطو: حللو الفناء فى عظيم الأمور كحلولة فى صغيرها .  
المتنبى: فطعم الموت فى أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم  
أرسطو: أتعب الناس من بعدت همته، واستعت معرفته وضافت  
مقدرته .

المتنبى: وأتعب خلق الله من زاد همه وقصر عما تشتهى النفس وجده  
أرسطو: الظلم من طبع النفس وإنما يصدها عن ذلك إحدى علتين إما  
علة دينية لحف معاد وإما علة سياسية لحوف السيف .

المتنبى: والظلم من شيم النفوس فإن تجرد ذا عفة فلعله لا يظلم  
أرسطو: النفس الشريفة ترى الموت بقاء لدركها أماكن البقاء وهذه حال  
يعجز الخلق عن ركوبها .

المتنبى: سبحانه خالق نفسى كيف لذتها فيما النفوس تراه غاية الألم  
أرسطو: أعجز العجزة من قدر أن يزيل العجز عن نفسه فلم يفعل .  
المتنبى: ولم أر فى عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

## سرق المتنبي من الشعراء

ذكرنا فى الفصل السابق ما اقتبسه المتنبي من حكم أرسطو . وسنذكر فى هذا الباب طائفة من سرقاته من الشعراء ، ممهدين لذلك بذكر أنواع من هذا الباب الغامض ، الذى لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعى السلامة منه ، وهذه الأنواع منها النسخ أو الاهتدام ، والنظر أو الملاحظة ، والعكس ، والإغارة والسرق .

فالنسخ أو الاهتدام هو سرق ما دون البيت كقول النجاشى :

و كنت كذى رجل رجلين صحيحة      ورجل رمت فيها يد الحدثنان

فقد نسخه كثير فأخذ الشطر الثانى وغير لفظه فقال : «ورجل رمى فيها الزمان فشلت» . وأما النظر أو الملاحظة فهو أن يتساوى المعنيان دون اللفظ مع خفاء الأخذ كقول أبى الشيص «جد الملامة فى هواك لذيدة» .

نظر فيه أبو الطيب فقال : «أحبه وأحب فيه ملامة» .

أما العكس فهو أن يغير البيت فيجعل مكان كل لفظه ضدها ، كقول ابن

أبى قيس ويروى لأبى حفص البصرى :

سود الوجوه لثيمة أحسابهم      فطس الأنوف من الطراز الآخر

فقد عكس بيت النابغة الذبياني فى مدح آل جفنة :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم      شم الأنوف من الطراز الأول

والإغارة : أن يذكر الشاعر معنى بديعاً فيتناوله من هو أعظم منه ذكراً ،

فيروى له دون قائله كما فعل الفرزدق بجميل وقد سمعه ينشد :

نرى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا  
فقال متى كان الملك فى بنى عذرة، إنما هو فى مضر وأنا شاعرها،  
فغلب الفرزدق جميلا على هذا البيت وروى له :

أما السرقة فهو أن ينقل معنى البيت دون لفظه مع بعد المأخذ وسيأتى  
أمثله فى سرقة أبى الطيب. سئل أبو عمرو بن العلاء أرايت الشاعرين يتفقان  
فى المعنى ويتواردان فى اللفظ، لم يلق واحد منهما صاحبه، ولم يسمع شعره  
فأجاب تلك عقول الرجال توافت على ألسنتها. وسئل أبو الطيب عن مثل  
ذلك فقال: الشعر جادة، وربما وقع الحافر على موضع الحافر، ورغم ما  
أجاب به فإننا لا نبرئ ساحته من اختلاسه معانى الشعراء والتصرف فيها  
بالاختراع حتى يشرف لفظها، ويسمو معناها، فنسب إليه بقانون وضع اليد  
إن صح هذا التعبير.

### طائفة من سرقاته

بشار بن برد:

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

أخذه أبو الطيب وذكر الرماح مكان الأسياف فقال:

وكأنما كسى النهار بها دجى ليل وأطلعت الرماح كواكبا

مسلم بن الوليد:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر

ألم به أبو الطيب فقال:

وما ریح الریاض لها ولكن کساها دفنهم فی التراب طیباً  
أبو نواس وهو من قلائد شعره فی وصف الخمر:

إذا ما أتت دون اللهاة من الفتى دعاهمه من صدره برحیل  
نقله أبو الطیب إلى معنی آخر فقال:

وما هی إلا لحظة بعد لحظة إذا نزلت فی قلبه رحل العقل  
بعض العرب وهو من الأمثال السائرة:

إذا بل من داء به ظن أنه نجا وبه الداء الذى هو قاتله  
أخذه أبو الطیب فقال وأحسن:

وإن أسلم فما أبقي ولكن سلمت من الحمام إلى الحمام  
عبد الله بن طاهر:

وجربت حتى لا أرى الدهر مغرباً على بشيء لم یکن فی تجاری  
أخذه أبو الطیب فقال:

قد بلوت الخطوب حلواً ومرّاً وسلكت الأيام حزناً وسهلاً  
وقتل لزمان علماً فما یغرب قولاً ولا یجدد فعلاً

قال ابن المعتز فی عجز بیت «فالشمس نامة واللیل قواد».

أخذ المتنبي هذا المعنى ونظمه فی بیت من قلائد شعره بل هو أمير شعره  
وهو:

أزورهم وسواد اللیل یشفع لى وأنثنى وبیاض الصبح یغرى بى

ولا يخلو المتنبي من إحدى ثلاث، إما أن يكون قد ألم بهذا المصراع  
فحسنه وزينه، وصار أحق به وأولى، وإما أن يكون عثر بالموضع الذي عثر به  
ابن المعتز فأربنى عليه، وزاد في معناه، وإما أن يكون قد اخترع المعنى  
وابتدعه، وتفرد به، فللهدره، وناهيك بشرف لفظه، وبراعة نسجه، وقد  
أحسن إذ جمع أربع مطابقات في بيت واحد. وكان الناس يعجبون من  
البحترى إذ جمع ثلاث مطابقات في بيت واحد وهو قوله:

وأمة كان قبح الجور يسخطها      دهرًا فأصبح حسن العدل يرضيها

حتى جاء أبو الطيب فزاد عليه مع عذوبة اللفظ، ورشاقة الصنعة.

والقرآن الكريم هو المثل الأعلى في ذلك فقد جمع بين أربع مطابقات  
في قوله تعالى: «فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما  
من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى».

## الغزل ووصف الحرب

قد انفرد أبو الطيب باستعمال ألفاظ الغزل في أوصاف الحرب، فقد حذق ذلك وأعرب به عن مهارته في التلاعب بالألفاظ، والتصرف في مناحي القول. فمن ذلك قوله:

أعلى الممالك ما بينى على الأسل والطعن عند محبيهن كالقبل  
وقوله وهو من فرائده:

شجاع كان الحرب عاشقة له إذا زارها فدته بالخيل والرجل  
قوله:

وكم رجال بلا أرض لكثرتهم تركت جمعهم أرضاً بلا رجل  
ما زال طرفك يجرى في دمائهم حتى مشى بم مشى الشارب الثمل  
وقد تقدم أمثلة لذلك.

## ولعه بالتصغير

أولع المتنبي بالتصغير إلى حد لم يرد عن شاعر غيره. وقد سأل ابن القارح أبا العلاء المعري عن ذلك فأجاب كما فى رسالة الغفران «كان الرجل مولعاً بالتصغير، لا يقنع منه بخلسة المغير، ولا ملامة عليه، إنما هى عادة صارت كالطبع تغتفر مع المحاسن» وقد أصاب المعري فى حكمه، إذ هى لوازم يختلف فيها شاعر عن شاعر. كما تختلف الوجوه والسمات، وسمائها المعري عادة كالطبع إذ هى مرآة طبعه وخلقه.

وسبب ذلك شموخ شاعرنا بأنفه، وغلوه فى استعظام نفسه، إذ كان يعد نفسه فى مصاف العظماء والملوك فيقول فى تهنته كافور:

إنما التهنئات للأكفاء      ولمن يدنى من البعداء  
وفؤادى من الملوك وإن كا      ن لسانى يرى من الشعراء  
وأكبر مظاهر العظمة عنده مبالغته فى شعره تارة، وولوعه بالتصغير أخرى، ألا ترى إعجابه بالعظمة بادياً، والتشديق بطنين الألقاب مجسماً، وترى نفسه منطوية على شوق للمجد لا تشتفى لوعته، وحقد على الدنيا لا تفثاً حميته.

وغيظ على الأيام كالنار فى الحشا      ولكنه غيظ الأسير من القد  
فإذا ازدرى شيئاً ضئيلاً أو رجلاً حقيراً فهو ازدرأء يشوبه الضغن، ويضاعفه العظمة التى ادعاها لنفسه، فإذا الشئ شوى، وإذا الرجل رجيل، وأكثر ما يقصد إلى التصغير حين يهجو مغيظاً محنقاً أو يستخف متعالياً محتقراً كقوله فى كافور:

أولى اللثام كوفيدير بمعذرة في كل لؤم وبعض العذر تفنيد

أو قوله فيه :

أخذت بمدحه فرأيت لهواً مقالى للأحيمق يا لئيم

أو يقول :

ثويبه لم تدر أن بنيتها النـويبي دون الناس يعبد في مصرا

أو حين يقول في ذم أهل زمانه «أذم إلى هذا الزمان أهيله» أو حين يقول في الشعراء الذين يزاحمونه «أفى كل يوم تحت ضبى شويعر» أو إذا أراد أن يحتقر قوما قصرت بهم أعمالهم عن السمو إلى ما يتطلعون إليه كقوله في بنى كلاب :

أرادت كلاب أن تفوز بدولة لمن تركت رعى «الشويهات» والإبل

وهو إذا لم يصغر المهجو باللفظ صغره بالمعنى فكان أعداؤه عنده شيئاً حقيراً.

لا يستخفن الفتى بعدوه أبداً وإن كان العدو ضئيلاً

## آثاره

### نثره:

للمتنبي نثر لطيف يذكرنا بنثر البديع الهمداني والصاحب بن عباد في حسن تدبيجه وبديع خياله ولم يصل إلينا منه غير أسطر قليلة. من ذلك أنه مرض مرة فكان له صديق يعوده فلما أبل انقطع عنه فكتب إليه يقول: «وصلتني وصلك الله معتلا وقطعتني مبلا فإن رأيت ألا تحجب العلة إلى ولا تكدر الصحة على فعلت إن شاء الله».

### ديوانه:

كان المتنبي يختار من قصائده أحسنها فيكتبها في دفاتر يحملها معه أينما توجه فيعيد النظر فيها ويقرؤها على بعض النحويين كابن جنى وغيره. ولما قتل جمعت أشعاره ورتبت على الحروف الأبجدية وهو ديوان شعره وقد طبع في الهند ومصر والشام وأوروبا - وكانت شهرته أثارت الحسد في قلوب كثير من الأدباء والشعراء فتصدوا لانتقاده وتخطئته وقام أنصاره يدافعون عنه في كل مصر وزمان منذ ألف سنة إلى اليوم حتى بلغت شروح ديوانه نحو خمسين مصنفا منها ما هو مخطوط وما هو مطبوع وأشهرها شرح العكبري وبهامشه كتاب الصبح المنبى عن حيثية المتنبي.

وأحدث شروحه شرح العلامة الشيخ ناصيف ليازجى وأتمه ابنه الشيخ إبراهيم واسمه «العرف الطيب في شرح ديوان أبى الطيب». وأفرد أبو منصور الثعالبي في كتابه «يتيمة الدهر» نحو سبعين صفحة في محاسن المتنبي ومساوئه.

## متناول كلامه

تناول شعر المتنبي كثيراً من الأغراض المشهورة كالممدح والهجاء، والوصف والرثاء، والفخر والاعتذار، وقد سبق نماذج له في بعض هذه الأغراض.

### الممدح:

سلك المتنبي في مديحه سبيل الإيضاح والإشادة بذكر الممدوح مع الإطالة فيه فلم يعمل بوصية جرير لبنيه في ذلك. إذ قال لهم يا بني ذا مدحتهم فلا تطيلوا المادحة، فإنه ينسى أولها، ولا يحفظ آخرها، وإذا هجوتهم فخالقوا، ولم يأبه لقول الشاعر:

وإذا امرؤا مدح امرأ لنواله      وأطال فيه فقد أراد هجاءه  
لو لم يقدر فيه بعد المستقى      عند الورود لما أطال رشاءه

قال أهل الأدب: إن الفضائل الإنسانية التي يمدح بها الإنسان بحق. هي العقل، والعفة، والعدل، والشجاعة، فهل مدائح شاعرنا تحوى هذه الفضائل؟ إن من اطلع على مدائح المتنبي في سيف الدولة أو غيره ممن مدحهم يرى مدائحه دائرة حول هذه الفضائل، وربما كانت الأبيات القليلة منها تشملها كلها. اقرأ أبياته الثلاثة الآتية في مدح سيف الدولة، تعلم أنه مدحه فيها بالشجاعة والكرم والذكاء الذي هو نتاج العقل إذ يقول:

تظل ملوك الأرض خاشعة له      تفارقه هلكى وتلقاه سجدا  
وتحى له المال الصوارم والقنا      وبقتل ما يحيى التبسم والجدا  
ذكى تظنيه طليعة عينه      ترى قلبه فى يومه ما ترى غدا

جارى المتنبي الشعراء الجاهليين فى استهلال مدائحه بالنسيب، وذكر  
الطلول والرسوم، فهو فى ذلك من المحافظين إذ يقول:

بليب بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع فى التراب خاتمه

بيد أنه كان أحيانا لا يحسن التخلص من النسيب إلى المديح، فقد كان  
تخلصه ضعيفاً تافهاً فى قصيدته التى مدح بها أبا سهل سعيد بن عبد الله إذ  
قال:

عل الأمير يرى ذلى فيشفع لى إلى التى تركتنى فى الهوى مثلاً  
أيقنت أن سعيداً طالب بدمى لما بصرت به بالرمح معتقلاً

فقد تمنى فى البيت الأول أن يكون له الأمير قوادماً ثم أتبعه بالبيت الثانى  
الذى هو مقولمناه فى القيادة فدل على أنه يشفع له فإن أجيب إلى مساعدة  
أبى الطيب فذاك والأرجع إلى القهر ولم يستطع أن يقول كما قال أبو نواس:

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد هوانا لعل الفضل يجمع بيننا  
أمير رأيت المال فى نعماته مهيناً ذليل النفس بالضم موقنا

فإن أبا نواس قال يجمع بيننا، ولم يقل يشفع والشفاعة رغبة وسؤال ثم  
أتبع ذلك بذكر المال والسخاء، فكأنه أشار إلى أن جمعه بينهما بالمال خاصة  
بأن يجزل نواله فيتزوجها أو يتسرى بها ومما عيب على أبى الطيب أيضاً قوله  
فى ممدوحه هذا:

لو استطعت ركبت الناس كلهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا

فانظر إلى تخلصه الدال على فساد ذوقه إذ يريد أن يجعل الناس جمالا  
فيركبهم إلى ممدوحه حتى قال الصاحب ابن عباد ومن الناس أمه فهل ينشط  
لركوبها إلى ممدوحه:

وأين هذا فى حسن التخلص من قول أبى تمام يمدح عبد الله بن طاهر:  
تقول فى قومس قومى وقد أخذت      منا السرى وخطا المهريّة القود  
أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا      فقلت كلا ولكن مطلع الجود

ورغم هذا فإننا لا نبخس المتنبى حقه، ولا نغمطه فضله، فى قصائده  
استهلها بالأبيات السائرة، والحكم النادرة، ورجع فيها إلى فطرته من حب  
العظمة، فجرت على لسان الأدباء منذ ألف سنة وستبقى إلى ما شاء الله فما  
أبدع ابتداءاته إذ يقول فى قصيدة يمدح بها سيف الدولة:

لكل امرء من دهره ما تعودا      وعادة سيف الدولة الطعن فى العدا  
ويقول فى أخرى:

فدينك من ربع وإن زدتنا كربا      فإنك كنت الشرق للشمس والغربا  
وقسوله: أتراها لكثرة العشاق      تحسب الدمع خلقة فى المآقى

## نماذج من شعره: ١ - فى المديح

ومن جيد شعره قوله يمدح سيف الدولة ويذكر بناء ثغر الحدث وهى قلعة للروم استولى عليها سيف الدولة بعد قتال عنيف سنة ٣٤٣ وهى من النصوص:

وتأتى على قدر الكحرام المكارم	على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتصغر فى عين العظيم العظام	ويعظم فى عين الصغير صغارها
وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم <sup>(١)</sup>	يكلف سيف الدولة الجيش همه
وذلك ما لا تدعيه الضراغم <sup>(٢)</sup>	ويطلب عند الناس ما عند نفسه
نسور الفلا أحداثها والقشاعم <sup>(٣)</sup>	يفدى أتم الطير عمرا سلاحه
وقد خلقت أسيافه والقوائم <sup>(٥)</sup>	وما ضرها خلق بغير مخالب <sup>(٤)</sup>
وتعلم أى الساقين الغمام	هل الحدث الحمراء تعرف لونها
فلما دنا منها سقتها الجماجم <sup>(٦)</sup>	سقتها الغمام الغر قبل نزوله
وموج المنايا حولها مبتلاطم	بناها فأعلى والقنا يقرع القنا
ومن جث القتلى عليها ثمام <sup>(٧)</sup>	وكان بها مثل الجنون فأصبحت

(١) الخضارم بفتح الخاء جمع خضرم وهو الكثير من كل شىء.

(٢) جمع ضرغام وهو الأسد.

(٣) النسور الطويلات العمر.

(٤) جمع مخلب وهو الظفر لسباع الطير.

(٥) جمع قائم وهو للسيف مقبضة.

(٦) جمع جمجمة وهو العظم فيه الدماغ.

(٧) جمع تيمة وهو العوذة من سحر أو مرض.

طريدة<sup>(١)</sup> دهر ساقها فرددتها  
تفتت الليالي كل شيء أخذته  
وقال أيضاً يمدح سيف الدولة:  
ملك<sup>(٤)</sup> سنان قناته وبنانه  
كالبدر من حيث التفت رأيته  
كالشمس في كبد السماء ووءها  
كالبحر يقذف للقريب جواهرها  
ومن مدائحه في كافور:

ولله سر في علاك وإنما  
أتلتمس الأعداء بعد الذي رأته  
رأت كل من ينوى لك الغدر يتلى  
قضى الله يا كافور أنك واحد  
فمالك تختار القسي وإنما  
ومالك تعنى بالأسنة والقنا  
ولم تحمل السيف الطويل نجاده  
لو الفلك الدوار أبغضت سيره  
كلام العدا ضرب من الهذيان<sup>(٦)</sup>  
قيام دليل أو وضوح بيان  
بغدر حياة أو بغدر زمان  
وليس بقاض أن يرى لك ثان  
عن السعد ترمى دونك الثقلان  
وجدك<sup>(٧)</sup> طعان بغير سنان  
وأنت غنى عنه بالحدثان<sup>(٨)</sup>  
لعوقه شيء عن الدوران

(١) طريدة أى مطرودة فهى فعيلة بمعنى مفعولة .

(٢) أى كاره وأصل الرغم أن يلتصق الأنف بالرغام أى التراب .

(٣) السنان حديدة مديبة توضع فى طرف القناة .

(٤) المعروف .

(٥) حظك .

(٦) حدثان الدهر نوابه .

## ٢ - الهجاء

لم يسلك أبو الطيب في هجائه سبيل التعريض أو التلويح، ولم يكن رأيه في الهجاء، رأى أبي عمرو بن العلاء، إذ قال خير الهجاء ما تشده العذراء في خدرها، فلا يقبح بمثلها كما جاوز فيه أدب الإسلام الذي شدد النكير على الهجاء المقذع، فقد قال سيد الخلق: «من قال في الإسلام هجاء مقذعاً فلسانه هدر» وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للحطيئة: إياك والهجاء المقذع، قال وما المقذع يا أمير المؤمنين، فأجابته، أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء، وتبنى شعراً على مدح قوم وذم لمن تعاديهم».

والمتنبى كثيراً ما خالف أدب عمر في هذا ألا ترى آياته التي فضل فيها سيف الدولة على كافور إذ يقول:

وفارقت خير الناس قاصد شرمهم وأكرمهم طراً لألأمهم طراً

أضف إلى ذلك أنه خرج به عن وجه البلاغة، فقد أجمع الأدباء رأيهم على أن أبلغ الهجاء ما سلك به سبيل التهكم، وما اعترض بين التصريح والتعريض وما قربت معانيه فعلق بالقلب، ولصق بالنفس، وما عدا ذلك فهو سباب وفحش، وهو ما قصد إليه المتنبى في هجائه، فهو إذا هجا نفث كل حقه على وجه لا يترك للمهجور رجاء في معاودته، حتى إذا أراد بعد ذلك مدحه ما أمكنه غسل ما لحق بالمهجور من تلك الوصمات التي ألصقها به فأسقطه إلى الأبد هذا كافور الأخشيدي وهذا ابن ضبة الذي كان هجاؤه والتعرض لأمه سبياً في قتله، انظر كيف أفحش في هجائهما ماذا يفيد المدح في عبد يقال فيه:

لا تشتت العبد إلا والعصا معه أن العبيد لأنجاس مناكيد

وكيف يغسل المدح من رجل دنس عرضه بمثل قوله :

كـذا خـلقت ومن ذا الـ سـذى يـخـالف ربه

إن أوحشتك المعالي فـإنها دار غـربة

أو أنستك المخازي فـإنها لك نـسبة

ومن قوله يهجو كافورا :

العبد ليس لحر صالح بأخ لو أنه في ثياب الحر مولود

من علم الأسود المخصى (١) مكرمة أقومه البيض أم أبأؤه الصيد (٢)

أم أذنه في يد النخاس (٢) دامية أم قدره وهو بالفلسين (٤) مردود

وذلك أن الفحول البيض عاجزة عن الجميل فكيف الخصية السود

(١) المخصى : من سل خصياه .

(٢) جمع أصيد وهو مائل العنق كبيرا .

(٣) يباع الدواب والرقيق وحرفته النخاسة بفتح النون وكسرها .

(٤) بالفلس بفتح الفاء أقل النقود قيمة .

### ٣- الفخر

هو المدح نفسه غير أن الشاعر يخص به نفسه وقومه وكل ما حسن في المدح حسن في الفخر كما أن ما قبح فيه قبح في الفخر وقد كان المتنبي فخورا بنفسه يعدها في مرتبة الملوك ويحسب الناس دونه فيقول لكافور الأخشيد ملك مصر:

إنما التهنئات للأكفاء      ولمن يدنى<sup>(١)</sup> من البعداء  
وأنا منك لا يهنىء عضو      بالمسرات سائر الأعضاء  
وفؤادى من الملوك وإن كا      ن لسانى يرى من الشعراء  
ومن قوله فى الفخر:

ورب جواب<sup>(٢)</sup> عن كتاب بعثته      وعنوانه للناظرين قسام<sup>(٣)</sup>  
حروف هجاء الناس فيه ثلاثة      جواد ورمح ذابل وحسام  
وقوله:

ومرهف سرت بين الجحفلين به      حتى ضربت وموج الموت لتطم  
فالخيل والليل والبيداء تعرفنى      والسيف والرمح والقرطاس والقلم  
وقوله:

كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم      ويكره الله ما تأتون والكرم

(١) يتقرب فهمي افعل من دنا.

(٢) يريد جيشا ولما سمى الجيش جوابا جعل حروفه. جوادا ورمحا وحساما.

(٣) غبار.

إذا رأيت نيبوب الليث بارزة      فلا تظن أن الليث يتسم  
وقوله :

وما كمد الحساد شيء قصده      ولكنه من يزحم البحر يغرق

## ٤ - الوصف

هو أهم الفنون التي برع فيها أبو الطيب حتى استحق أن يسمى الشاعر الوصاف فقد أبدع في وصف مناظر الطبيعة من البساتين النضرة والمياه الجارية ووصف الإبل والحياد والغزلان والآساد.

ومن جيد وصفه قوله يصف شعب بوان وهي من مقرر النصوص

الأدبية:

مغاني<sup>(١)</sup> الشعب طيبا في المغاني  
ولكن الفتى العربي فيها  
ملاعب جنة لو سار فيها  
طببت<sup>(٤)</sup> فرساننا والخيل حتى  
غدونا ننفض الأغصان فيها  
فسرت وقد حجبنا الحر عنى  
وألقى الشرق<sup>(٨)</sup> منها في ثيابي  
بمنزلة الربيع من الزمان  
غريب الوجه واليد واللسان  
سليمان لسار بترجمان<sup>(٣)</sup>  
خشيت وإن كرم من الحران<sup>(٥)</sup>  
على أعرافها<sup>(٦)</sup> مثل الجمان<sup>(٧)</sup>  
وجئنا من الضياء بما كفاني  
دنائيرا تفر من البنان

(١) جمع مغنى وهو المكان الذى فيه أهله .

(٢) الجن .

(٣) الذى يفسر كلام غيره بلغته .

(٤) دعت .

(٥) الحران اسم من حرن أى صار حرونا لا يتقاد وفرس حرون إذا اشتد به الجرى وقف .

(٦) عرف الفرس الشعر الذى على ناصيته .

(٧) اللؤلؤ أو هو حب صغير من فضة يشبه اللؤلؤ .

(٨) الشرق . الشمس يقال طلع الشرق أى الشمس ولا يقال غرب الشرق .

لها ثمر تشير إليك منها  
 وأمواه يصل (٢) بها حصاها  
 إذا غنى الحمام الورق (٤) فيها  
 ومن بالشعب أحوج من حمام  
 وقد يتقارب الوصفان جدا  
 يقول بشعب بوان حصاني  
 فقلت إذا رأيت أبا شجاع  
 فإن الناس والدنيا طريق  
 بعضد الدولة امتنعت وعزت  
 ولم أر قبله شبلي (٧) هزبر  
 بأشربة وقفن بلا أوان (١)  
 صليل الحلى فى أيدى الغوان (٣)  
 أجابته أغاني القيان (٥)  
 إذا غنى وناح إلى البيان  
 وموصوفاهما متباعدان (٦)  
 أعن هذا يسار إلى الطعان  
 سلوت عن العباد وذا المكان  
 إلى من مناله فى الناس ثان  
 وليس لغير ذى عضد يدان  
 كشبليه ولا مهري (٨) رهان  
 وقد تقدم نماذج فى وصف الأسد والخيل والغزال وآلات القتال فارجع  
 إليها إذا شئت .

(١) جمع آنية وهى الأوعية .

(٢) يصل . يصوت .

(٣) جمع غانية وهى التى غنيت بحسناها عن الزينة .

(٤) مع ورقاء وهى التى فى لونها سواد وبياض .

(٥) جمع قينة وهى المغنية .

(٦) المعنى أنهم قد بعدوا عن الحمام بالإنسانية ووصفها ولكن العجمة يجمعهما فالحمام

أعجم وهم أعاجم .

(٧) الشبل ولد الأسد .

(٨) المهر الصغير من الخيل .

## ٥ - فى الرثاء

أسلفنا الكلام فى أن رثاء أبى الطيب لم يصدر عن عاطفة حقيقية ووجدان حساس، ما عدا مراثيه فى أبى شجاع فاتك وفى أخت سيف الدولة الكبرى، وفى ابنه الصغير فمن قوله يرثى أبا شجاع:

الحزن يقلق والتجمل <sup>(١)</sup> يردع	والدمع بينهما عصى <sup>(٢)</sup> طيع
يتنازعان دموع عين مسهد <sup>(٣)</sup>	هذا يجىء بها وهذا يرجع
النوم بعد أبى شجاع نافر	والليل معى والكواكب ظلع <sup>(٤)</sup>
والمجد أخسرو المكام صفقة	من أن يعيش بها الكريم الأروع
والناس أنزل فى زمانك منزلا	من أن تعايشهم وقدرك أرفع

ومن قوله يرثى أخت سيف الدولة الكبرى:

ولعمرى لقد شغلت المنايا	بالأعادى فكيف يطلبن شغلا
خطبة للحمام ليس لها ردم	د وإن كانت المسماة ثكلا
وإذا لم تجد الناس كفاءا	ذات خسر أرادت الموت بعلا

وهذا أحسن ما رثى به شاعر عقيلات الملوك.

(١) الصبر.

(٢) أى الدمع بين الصبر والجزع عاص للأول مطيع للثانى.

(٣) كثير الأرق.

(٤) يريد أن الليل من طوله كأنه قد أعيا من المشى فوقف وأن الكواكب كأنها ظالعة عرجاء

لا تقدر على السير.

وقوله فى رثاء ابن سيف الدولة :

عزاءك سيف الدولة المقتدى به      فإنك نصل<sup>(١)</sup> والشدائد للنصل  
تخون المنايا عهده فى سليله<sup>(٢)</sup>      وتنصره بين الفوارس<sup>(٣)</sup> والرجل  
ويبقى على مر الحوادث صبره      ويبدو كما يبدو الفرند<sup>(٤)</sup> على الصقل  
وما الموت إلا سارق دق شخصه      يصول بلا كف ويسعى بلا رجل

---

(١) النصل حديدة السيف .

(٢) السليل الولد والليللة الأنثى .

(٣) الفوارس جمع فارس وهو راكب الفرس ورجل جمع راجل وهو الماشى .

(٤) جوهر السيف ماؤه .

## ٦ - التغزل

التغزل والنسيب والتشبيب. هذه الكلمات تدل على معنى واحد، وهو ذكر محاسن النساء، وأحوالهن من ظعن وإقامة، وهى تباين الغزل الذى هو إلف النساء والتخلق بما يوافقهن، فمن استعمل الغزل مكان التغزل فقد أخطأ، نبه على ذلك «قدامة» فى كتابه نقد الشعر<sup>(١)</sup>.

وحق أن النسيب أن يكون حلو الألفاظ، قريب المعانى، ظاهرها حسن الديباجة، يطرب الحزين ويستخف الرصين؛ وقد اعتاد الشعراء أن يبدءوا به قصائدهم، ويقدموه على أغراضهم من مدح أو غيره، استدرار لجزل القول، فما أشبه أبيات القصيدة بأعضاء الجسم التى إذا انفصل أحدها عن الآخر غادر بالجسم عاهة تنتقص محاسنه، وتنقص جماله، وقد سبق أن المتنبى كان لا يحسن التخلص أحيانا، وقد اشتهر بالنسيب فى العصر العباسى جماعة من الشعراء، منهم أبو نواس، ومسلم بن الوليد المشهور بصريع الغوانى، والبحترى. أما أبو الطيب فهو فى تغزله مقل مجيد ومن مليح تغزله قوله فى ذكر ديار محبوبته:

ودسنا بإخفاف المطى ترابها      فلا زلت أستشفى بلثم المناسم<sup>(٢)</sup>  
ديار اللواتى دارهن عـزيزة      بسمـر القنا يحفظن لا بالتمائم  
حسان التثنى ينقش الوشى<sup>(٣)</sup> مثله      إذا مسن<sup>(٤)</sup> فى أجسامهن النواعم

(١) ونقلت ذلك من كتاب العمدة لابن رشيق ص ٩٤ جزء ثان.

(٢) المنسم كمجلس خف البعير.

(٣) وشى الثياب نقشها.

(٤) تبخرن.

ويسمن عن در تقلدن مثله  
كأن التراقي (١) وشحت بالمباسم  
وقوله:

إن الذين أقمت واحتملوا  
أيامهم لديارهم دول  
الحسن يرحل كلما رحلوا  
معهم وينزل حيثما نزلوا

---

(١) جمع ترقوة العظام التي فوق الصدر.

## ٧ - الاعتذار والاستعطف

الاعتذار هو الاحتجاج، من قولهم عذرت الدابة إذ جعلت لها عذارا يحجزها عن الشراد، وعذرت الرجل جعلت له بقبول ذلك منه حاجزا بينه وبين العقوبة، ومنه جارية عذراء والاستعطف هو مصدر استعطفه سأله أن يعطف عليه .

وقد ربأ المتنبى بنفسه من الوقوع فيما يعتذر منه، أو أن كبره حمله على عدم اعترافه بما يقترفه من خطأ، ولذا يندر أن يقع نظرك في ديوانه على أبيات يعتذر فيها، اللهم إلا قصيدته التي قالها عن لسان بنى كلاب يستعطف بها سيف الدولة عليهم، ويعتذر فيها عن خروجهم عليه، وهاك بعض أبياتها وهي مقررة في النصوص الأدبية:

بغيرك راعيا عبث الذئاب	وبغيرك صارما <sup>(١)</sup> تلم <sup>(٢)</sup> الضراب <sup>(٣)</sup>
وتملك أنفس الثقلين <sup>(٤)</sup> طرا <sup>(٥)</sup>	فكيف تحوز أنفسها كلاب
وما تركوك معصية ولكن	يعاف <sup>(٦)</sup> الورد <sup>(٧)</sup> والماء الشراب
طلبتهم على الأمواه حى	تخوف أن تفتشه السباحاب

(١) سيفاً .

(٢) كسر .

(٣) المقارعة والضرب .

(٤) الإنس والجن .

(٥) جميعاً وتعرب مصدرآ أو حالآ .

(٦) يستقدر .

(٧) أى ورد الماء .

تخب<sup>(١)</sup> بك المسومة<sup>(٢)</sup> العراب<sup>(٣)</sup>  
كما نفضت جناحيها العقاب  
فإن الرفق بالجاني عتاب  
إذا تدعو لحادثة أجابوا  
بأل معشر خطئوا فتابوا  
وهجر حياتهم لهم عقاب  
وكم بعد ميلده اقتراب  
فحل بغير جارمه العذاب

فبت لياليا لا نوم فيها  
يهز الجيش حولك جانبيه  
ومنها: ترفق أيها المولى عليهم  
وأنتهم عبيدك حيث كانوا  
وعين المخطئين هموا وليسوا  
وأنت حياتهم غضبت عليهم  
وكم ذنب مـولده دلال  
وجرم جره سفهاء قوم

---

(١) الخب نوع من العدو.

(٢) المسومة من السمة أى العلامة أى الخيل ذوات الشيات.

(٣) العربية.

## ٨ - الاقتضاء والاستنجاز

اتصل أبو الطيب بكافور الأخشيد وكان يبنى نفسه بتقليده إياه إمارة أو ولاية، وقد وعده كافور بذلك ثم ماطله، فأخذ يستجز موعوده، وهذا ما يسمى بالاقتضاء، ومن حسنه أن يكون لطيفا شريفا، فإن الاقتضاء الخشن ربما كان سبب الحرمان، وداعية القطيعة والهجران، وقد كان اقتضاء أبي الطيب يلين الصخر، ويستنزّل القطر، وقد سلك فيه سبيل أمية بن أبي الصلت في قوله لعبد الله بن جدعان:

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك أن شيمتك الحياء

فمن قوله في الاقتضاء:

أبا<sup>(١)</sup> المسك ذا الوجه الذي كنت تائقا إليه وذا اليوم الذي كنت راجيا  
أبا كل طيب لا أبا المسك وحده وكل سحاب لا أخص الغوادي<sup>(٢)</sup>  
وغير كثير أن يزورك راجل فيرجع ملكا للعراقين واليا<sup>(٣)</sup>  
فقد تهب الجيش الذي جاء غزيا لسائك الفرد الذي جاء عافيا  
وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها وحاشاك<sup>(٤)</sup> فانيا  
وقوله:

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب

(١) كنية كافور لسواد.

(٢) جمع غادية وهي السحابة التي تبدو أول النهار.

(٣) أى يلى أمر العراقين العربى والعجمى.

(٤) تنزيهاً لك وهى جملة اعتراضية دعائية.

نادرة: لما أنشد المتنبي سيف الدولة قصيدته التي مطلعها:

أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل دعا فلباه قبل الركب والإبل

ثم ناوله نسختها ومضى فنظر فيها سيف الدولة فلما انتهى إلى قوله:

يأيها المحسن المشكور من جهتي والشكر من قبل الإحسان لا قبلي

أقل أنل أقطع احمل على سل أعد زد هش بش تفضل ادن سر صل

فوقع سيف الدولة تحت أقل قد أقلناك وتحت أنل يحمل إليه من

الدرهم كذا وتحت أقطع قد أقطعناك ضيعة كذا (ببلاد حلب) وتحت حمل

يقاد إليه الفرس الفلاني وتحت على قد فعلنا وتحت سل قد فعلنا فاسل وتحت

أعد أعدناك إلى حالك من حسن رأينا وتحت زد يزداد كذا وتحت تفضل قد

فعلنا وتحت ادن قد أدنيناك وتحت سر قد سررنناك وقد بلغه أنه أراد سر من

السرية فأمر له بجارية وتحت صل قد فعلنا وكان بحضرة سيف الدولة شيخ

ظريف يسمى المعقلى فقال له يا مولاي قد فعلت به كل شيء سألكه فهلا

قلت له لما قال هش بش هه هه يحكى الضحك فضحك سيف الدولة

وقال له ولك أيضاً ما تحب وأمر له بصلة. وهذا البيت من الأبيات الجامعة

وقد نسج فيه أبو الطيب على منوال ديك الجن الذي يقول:

أحل وأمرر وضرروا نفع ولن واخش ورش وابر وانتدب للمعالي

وهاك طائفة من رائع ابتداءاته، وبدائع شعره، في أغراض شتى، وقد

زاد بها على من تقدم وسبق بها جميع من تأخر، فمنها حسن المطلع، كقوله

يهنى سيف الدولة بأبلاله من مرضه:

المجد عوفى إذا عوفيت والكرم وزال عنك إلى أعدائك السقم

ومنها المدح الموجه أى المدح من جهتين كالثوب ذى الوجهين كلاهما  
حسن كقوله لسيف الدولة:

نهبت من الأعمار ما لو حوتته لهنتت الدنيا بأنك خالد

ذكر فى الشطر الأول كثرة ما استباحه من أعمار أعدائه وتلقاه فى  
الشطر الثانى بذكر سرور الدنيا ببقائه واتصال أيامه .

ومنها حسن التقسيم:

ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملك ملء الزمان وملء الأرض والجبل

فتحن فى جذل والروم فى وجل والبر فى شغل والبحر فى خجل

ومنها إرسال المثل فى أنصاف الأبيات كقوله:

«وخير جليس فى الزمان كتاب»

«إن المعارف فى أهل النهى ذمم»

«مصائب قوم عند قوم فوائد»

«ومن قصد البحر استقل السواقيا»

«وربما صحت الأجسام بالعلل»

«وما خير الحياة بلا سرور»

«بجبهة العير يفدى حافر الفرس»

«والجوع يرضى الأسود بالجيف»

«وفى عنق الحسناء يستحسن العقد»

«أنا الغريق فما خوفى من الهلّل»

«ومن فرح النفس ما يقتل»

«ليس الكحل فى العينين كالكحل»

ومنها إرسال المثلين فى البيت الواحد كقوله:

وكل امرئ يولى الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب

وقوله:

فى سعة الخائفين مضطرب وفى بلاد من أختها بدل

وقوله:

ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف من الحمام

وقوله:

وأتعب من ناداك من لا تجيبه وأغیظ من عاداك من لا تشاكل

وقوله:

وما قتل الأحرار كالعضو عنهم ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا

ومن أبياته فى المواعظ والحكم قوله:

وما الجمع بين الماء والنار فى يدى بأصعب من أن أجمع الجد والفهما

وقوله:

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

وقوله:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن  
وقوله:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد  
وقوله:

وإذا خفيت على الغبي فعاذر ألا ترانى مقلة عمياء  
وقوله:

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهي الشهادة لى بأنى كامل  
وقوله:

ومن الخبر بطء سيك عنى أسرع السحب فى المسير الجهم  
وقوله:

ذريتى أنل ما لا ينال من العلا فصعب العلا فى الصعب والسهل فى السهل  
وقوله:

تريدىن لقيان المعالى رخيصة ولا بد دون الشهد من أبر النحل  
وقوله:

تصفو الحياة لجاهل أو غافل عما مضى منها وما يتوقع  
وقوله:

ولمن يغالط فى الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع

وقوله يذم الشمس لأنها تسود الوجوه ولا تسود الشعر:

تسود الشمس منا بيض أوجهنا      ولا تسود بيض العذر واللمم  
وكان حالهما في الحكم واحدة      لو احتكمتنا من الدنيا إلى حكم  
وقوله في الشيب:

مشب الذي ييكي الشباب مشيبه      فكيف توقيه وبانيه هادمه  
وما خضب الناس البياض لأنه      قبيح ولكن أحسن الشعر فاحمه  
ومنها في حسن المقطع قوله:

قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها      وشرف الناس إذ سواك إنسانا  
وقوله:

أنلت عبيدك ما أملوا      أنا لك ريك ما تأمل  
وقوله:

وأعطيت الذي لم تعط خلق      عليك صلاة ريك والسلام

## الموازنة بين أبي الطيب والطائيين

### أبي تمام والبحتري

الشعر العربي المطبوع ما نظر فيه إلى فصاحة الكلام وجزالته، وبسط المعنى وظهوره وإتقان بنية الشعر وإحكام عقد القوافي، ولا يتوافر ذلك إلا في الشعر الجاهلي، ولذا تجد أنصار القديم لا يعترفون بالشاعرية لواحد من ثلاثة الشعراء المذكورين، ولا سيما أبو الطيب بل يحذفونهم من ديوان الشعراء إذ الصنعة ظاهرة قليلا أو كثيرا في أشعارهم. قال ابن رشيقي في كتاب العمدة «فأما أبو تمام فيذهب إلى حزونة اللفظ وما يملأ الأسماع منه مع التصنع المحكم طوعا أو كرها، يأتي إلى الأشياء من بعد، ويطلبها بكلفة، ويأخذها بقوة، وأما البحتري فكان أملح صنعة، وأحسن مذهبا في الكلام، يسلك منه إلى الدماعة والسهولة؛ مع أحكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة» وقال عن أبي الطيب «ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس ولا يحسن بالأديب أن يمر على هذا الحكم مر الكرام بل لا بد أن يتعرف كيف ملأ الدنيا وكيف شغل الناس» وقال الشريف الرضي «أما أبو تمام فخطيب منبر، وأما البحتري فواصف جؤذر، وأما أبو الطيب فقائد عسكري».

وحسبك حكما عدلا بين هؤلاء الشعراء ما سأورده عليك من قول ابن الأثير مع تصرف فيه.

قال: «هؤلاء الشعراء قد جمعت أشعارهم إلى عذوبة الحديث. فصاحة الأقدمين، كما عقدت بين مثل سائر، وحكمة بالغة، أما أبو تمام فهو رب معان، وصيقل أذهان. قد شهد له بكل معنى مبتكر؛ لم يمش فيه على أثر؛ فمن حفظ شعره، وكشف عن غامضه؛ وراض فكره برائضه، أطاعته أعتة

الكلام، وأما أبو عبادة البحتري فإنه أحسن في سبك اللفظ على المعنى وأراد أن يشعر فغنى، ولقد حاز طرفي الرقة والجزالة على الإطلاق، أتى في معانيه بأخلاق الغالية، ورقى في ديباجة شعره إلى الدرجة العالية، وأما أبو الطيب فإنه أراد أن يسلك طريقة أبي تمام فقصرت عنه خطاه، ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه، لكنه حظى في شعره بالحكم والأمثال واستأثر بالإبداع في وصف مواقف القتال» اهـ.

وسئل أبو الطيب نفسه عنه وعن صاحبيه فقال: «أنا وأبو تمام حكيمان» ولعمري لقد أنصف في حكمه وأعرب بقوله عن غزارة علمه.

### نتيجة الموازنة

والخلاصة أن منزلة المتنبي في الدرجة الأولى بين شعراء المعاني والأفكار والحكم والأمثال، ووصف المعارك وآلات القتال، ويليه في هذه الدرجة أبو تمام، ومنزلة البحتري في الدرجة الأولى بين شعراء الألفاظ والخيال، فقد برع صاحبيه ديباجة لفظ وبداعة خيال.

والحمد لله على التمام والكمال

انتهى

## الفهرس

### الصفحة

### الموضوع

٧	تمهيد
٨	وصف عصره سياسيا
٩	أثر الحال السياسية فى شعره
١١	الحياة الأدبية فى عصره
١٢	أثر الحياة الأدبية فى شعره
١٤	حياته وبيئته وأثرهما فى شعره
١٦	محتته وسجنه
١٧	رقه دينه
١٨	نبوءة المتنبي
٢٠	رحلاته
٢١	رحلته الأولى
٢٢	رحلته إلى حلب
٢٥	رحلته إلى الرملة فمصر
٢٨	عتب واعتذار
٢٩	رحلته من مصر إلى العراق
٣٠	رحلته الأخيرة
٣٠	المتنبي نعى نفسه
٣١	رثاؤه
٣١	أخلاقه وصفاته
٣٢	تلون المتنبي
٣٣	سرعة غضبه

## الصفحة

## الموضوع

٣٣

غلظة المتنبي وقسوته

٣٤

المتنبي يسأل الخاف

٣٧

كبرياؤه

٣٨

شهرته بالبخل

٤٠

أدب أبي الطيب

٤١

اختلاف الأدباء فى شعره

٤٣

فنون شعره

٤٣

(١) شعره الوجدانى

٤٤

شعره الغزلى

٤٨

شعره الرئائى

٥١

(٢) شعره الوصفى

٥٥

دراسة تحليلية لوصفى المتنبي والبحترى بحيرتى طبرية والمتوكلية

٥٨

(٣) شعره الفيلسفى

٦٠

فلسفته الخلقية

٦١

رأيه فى المال

٦١

رأيه فى العلم

٦٢

ألفاظه وأساليبه ومميزاته

٦٨

معانيه وأخيلته

٦٨

الشعر التمثيلى والقصى

٦٩

المتنبي وحكم أرسطو

٧٢

سرق المتنبي من الشعراء

## الصفحة

## الموضوع

٧٣	طائفة من سرقاته
٧٦	الغزل ووصف الحرب
٧٧	ولعه بالتصغير
٧٩	آثاره ونثره
٧٩	ديوانه
٨٠	متناول كلامه
٨٣	نماذج من شعره في المديح
٨٥	في الهجاء
٨٧	في الفخر
٨٩	في الوصف
٩١	في الرثاء
٩٣	في التغزل
٩٥	في الاعتذار والاستعطاف
٩٧	في الاقتضاء والاستنجاز
٩٩	في أغراض شتى
١٠٣	الموازنة بين أبي الطيب والطائيين أبي تمام والبحترى

obeikandi.com